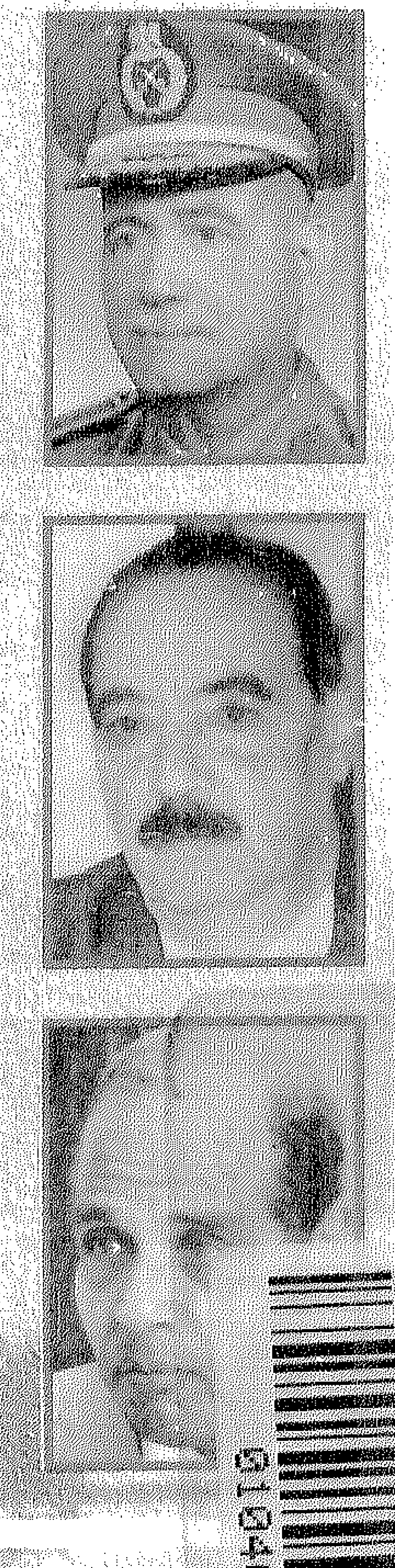
مطبوعات أخبار اليوم قطاع الثقافة



خبايا حرب أكتوبر



فاروق الشاذلي

مطبوعات



قطاع الثقافة

رئيس مجلس الادارة :

إبراهيم سعده



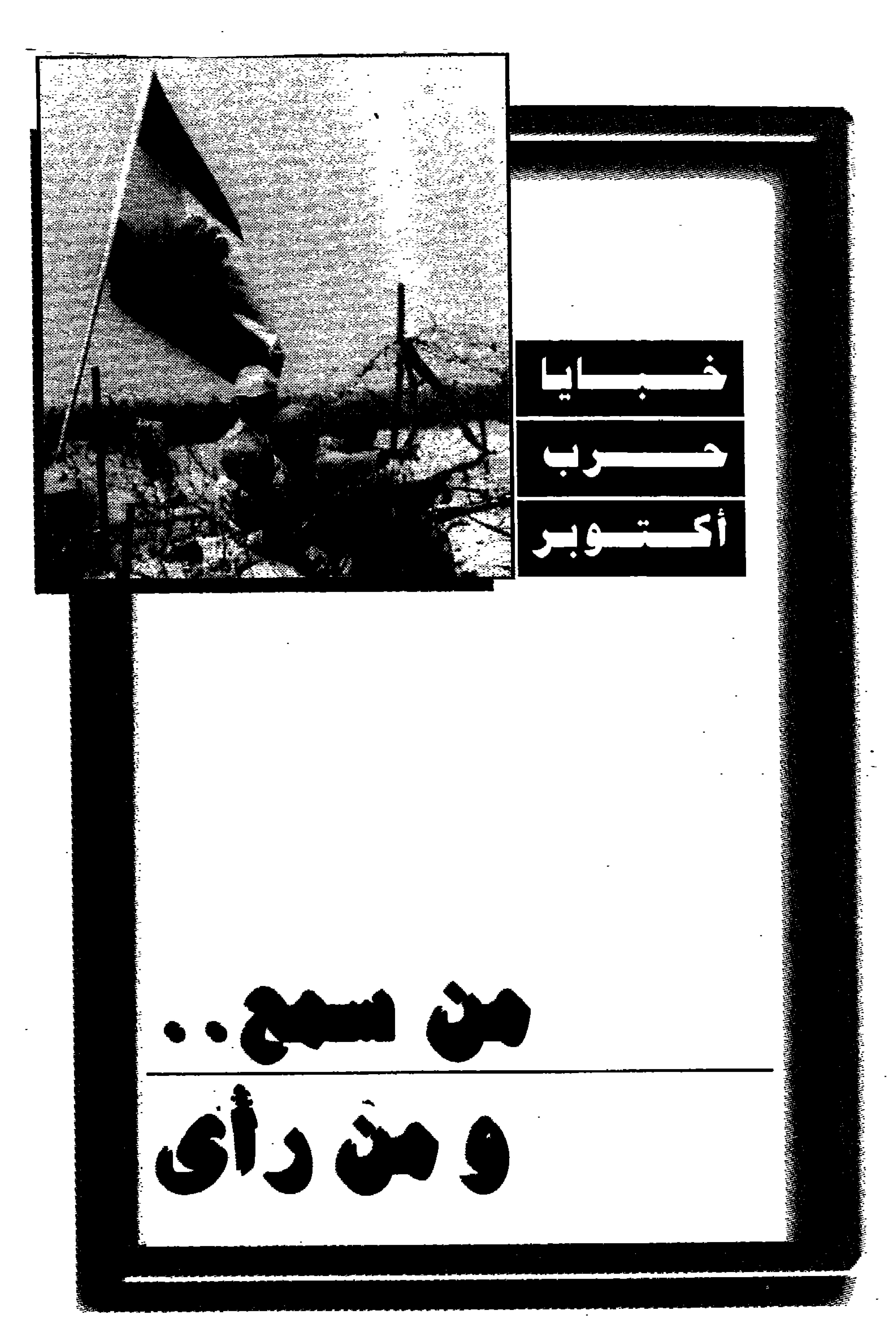
قطاع الثقافة

■ الغلاف و الإخراج الفنى

■ احمد سامح

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ شارع الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس: ٥٧٩٠٩٣٠


خبايا
حرب
أكتوبر
فاروق الشاذلي
ياسر رزق
طاهر قابيل


خبايا
حرب
أكتوبر
من سمح..
ومن رأى

ليس من سمع.. كمن رأى!

سمعت كثيرا عن الحرب، عن بطولاتها، عن تضحياتها، عن دمائها، عن أيامها الطويلة، ولياليها الأطول..

ولكن.. ما رأيته فى أكتوبر كان غير كل ما سمعت.. وتظل الأيام التى عشتها فى تلك الفترة منذ ربع قرن.. هى أقسى وأسعد وأمجد ايام العمر..

●●●

الساعة الرابعة بعد ظهر السبت السادس من اكتوبر

كنا فى صالة تحرير الأخبار. معلومات غير مؤكدة عن تحركات لقواتنا المسلحة. اتصالات من القراء عن سماعهم اصوات لطائرات فى الجو.. الاتصالات التليفونية مع الجهات العكسرية لم تتم.. حيث كان بعض من هذه الخطوط قد تم سحبها لخدمة التحركات العسكرية وكخطوط اتصال استراتيجية.. بيانات عسكرية مقتضبة جعلتنا ندور فى حلقة بحث. بالطبع غير كل شىء فى صالة تحرير «الأخبار» توقفنا للبحث عما حدث. هل سيكون فى صدر الصفحة الأولى ام فى المحليات. ام فى الصندوق المجاور لرئيس التحرير.

لم يكن احد يتصور ابدا حقيقة ما يجرى على طول خط المواجهة فى الشاطىء الشرقى لقناة السويس. لم يعرف احد ان المارد الذى ينتظر الانطلاقة منذ اكثر من ٦ سنوات قد انطلق من موقعه فعلا. اندفع ليعبر القناة فى الضربة الجوية الأولى التى شلت فكر العدو وأوقفت ذراعه الطويلة.

توالت البيانات.. وفجأة جاء البيان الذى عشنا نحلم بسماعه طيلة ٦ سنوات او تزيد . عبرت قواتنا القناة على طول ١٨٠ كيلو مترا، ورفع علم مصر خفاقا عاليا على الشاطىء الشرقى فوق رمال سيناء. تبدل الحال فى صالة التحرير.. اتفاق جماعى على الغاء كل المواد التى كانت معدة للنشر. اصدار اكثر من طبعة تحمل كل جديد ومتابعة فورية للحدث لاشباع نهم الجماهير المتعطشة لمعرفة ما يقوم به الرجال.



كان لى الشرف ان اكون مكلفا بالسفر مع زميلى مكرم جاد الكريم مصور «الأخبار» الى قطاع السويس.. بعد ان علمنا انه قد تحدد تسيير قافلتين من الاعلاميين للانطلاق مع اول ضوء فى نهار يوم ٧ اكتوبر لتغطية هذا الحدث الكبير.

داخل ادارة الشئون المعنوية مساء يوم السادس من اكتوبر.. كانت الحركة دائبة.. الكل متشوق للاندفاع للسفر.. تعليمات بأن يتم صرف زى عسكرى لكل منا.. وصرف وجبة غذائية خفيفة لمواجهة الطوارىء فى الجبهة.

تناولنا السحور.. داخل مبنى ادارة الشئون المعنوية. وانطلقنا بالسيارات الى مقر قيادة الجيش الثالث فى عجرود بالقرب من السويس.

بعد لقاء سريع.. مع احد القادة.. وتكليف الضابط المرافق لها بالمهمة وخط السير المؤمن لمتابعة المعركة.. خرجنا لنفاجأ بغارة جوية على الموقع الذى كنا فيه بالقرب من السويس..

طلب منا الضابط المرافق سرعة الانتشار مع عمل الحماية الشخصية لكل منا، ونحن فى هذه المنطقة. بعدها إختلفت الآراء حول الاستمرار فى التغطية الاعلامية للمعركة. ولكن الحقيقة ان هذه الغارة كانت بمثابة «التطعيم» لكل القافلة.

كانت عقارب الساعة تشير الى العاشرة والنصف صباحا.. عندما وصلنا الى الشاطىء الغربى للقناة فى بور توفيق. طلب منا الضابط المرافق الصعود الى اعلى العمارة التى كنا نتابع منها نشاط العدو خلال حرب الاستنزاف.

كنت فى مقدمة الرافضين بدعوى اننا استخدمنا هذه الوسيلة قبل ان يكون لنا قوات فى شرق القناة. طلبنا ان نكون فى الضفة الشرقية مع الرجال.

نزلنا من العمارة.. وفجأة تعرضنا لغارة اخرى.. انزويت داخل احد الدكاكين.. وفجأة وجدت باب «الدكان» يتقدم فى اتجاهى.. وكلما اقترب منى يعود الى الابتعاد!.. من اثر انفجارات القذائف على المنطقة.

بعدها.. توجهنا الى منطقة «حوض الدرس».. وهى منطقة خارج السويس.. حيث تابعنا انطلاقة الرجال من خلال احد المعابر.. فقد كانت المعارك فى القطاع الجنوبى للجبهة أشد ضراوة وقسوة وتحتاج الى عدد مستمر من قوات الدعم.. نظرا لقلة عدد المعابر لطبيعة الارض الصخرية فى هذه المنطقة. اضافة الى ان الجزء الجنوبى لم يكن خط مواجهة كاملة على غير الحال فى القطاع الشمالى.. كما ان الدعم التعبوى لقوات اسرائيل سواء من مدفعيات او طلعات جوية كان موجها من القطاع الجنوبى.

عند هذا المعبر.. شاهدنا انطلاق بعض المعدات ومجموعات من الرجال مندفعين لتقديم العون للمجموعات التى كانت قد قضت الليل بطوله فى مواجهة خطوط الامداد المتقدمة

لدعم النقاط الحصينة فى خط بارليف الذى انهار بعد الساعات الست الاولى فى المعركة.. ولم يتبق منه الا نقطة «لسان بور توفيق» الحصينة التى وضعت منذ البداية تحت الحصار الصارم. نظرا لطبيعة موقعها.

رفض المسئولون عن المعبر السماح لسيارات القافلة الاعلامية بالعبور شرقا.. لأن الأولوية كانت مركزة على عبور القوات المتقدمة.

عدنا الى مقر قيادة المخابرات الحربية داخل مدينة السويس وكنت مفوضا عن كل الزملاء بلقاء قائد مكتب المخابرات فى ذلك الوقت. دخلت مكتبه. وكان يستجوب لحظتها اول مجموعة من اسرى العدو. الصورة مختلفة تماما عما نسمعه الآن من هؤلاء الجنرالات المدعين للبطولة. الاسير يجلس امام الضابط على احد المقاعد. امامه المياه المثلجة -وقد كنت فى غاية العطش - وزجاجة مياه غازية وطبق به عنب. الاسير يتحدث فى هدوء والضابط يسأله فى ادب. حقيقة اثارنى هذا التعامل. وقلت كيف يجلس امامك جندى من العدو وأنت لا تسمح لجنودك بالجلوس امامك، رد الضابط قائلا: اولا نحن نعامل الأسرى معاملة حسنة لأنهم فى وضع غير طبيعى، وهناك مواثيق واعراف دولية يتعين علينا الالتزام بها. وجدت انه قد اعد لنا من قبل برنامجا لتحركاتنا مع القوات.. عدنا مع احد ضباطه الى منطقة «حوض الدرس» مرة ثانية.. لنجد ان قوات الدعم مازالت مستمره فى العبور.

فى حدود الساعة الواحدة والنصف ظهرا.. قمنا بمرافقة الضابط الى منطقة مجاورة كان فيها ساتر ترابى اقامته القوات المصرية لاخفاء تحركات الدبابات وبناء بعض مصاطب الدبابات التى كانت تقصف مواقع العدووتحركاته داخل سيناء اثناء حرب الاستنزاف.

الجنود يستخدمون مولدات الدخان للتغطية على المعبر وتضليل طائرات العدو.. فجأة قامت غارة جوية.. وطلب منها الانتشار.. تصدت وسائل دفاعنا الجوى الموجودة لحماية المعبر ضد هذه الطائرات احداها اصيب بنيران قوات الدفاع الجوى.. ونجاح زميلى مكرم جاد الكريم فى التقاط صورة الطائرة لحظة اصابتها.

اندفعت طائرة اخرى لتحلق فوق رءوسنا تماما.. وكان قوة اندفاعها للهرب فوق سطح القناة على ارتفاع منخفض جدا حتى لا تكون فى متناول نيران مدفعياتنا.. غمرتنا الرمال بكميات كبيرة.. خرجنا من هذه الغارة الثالثة التى نتعرض لها فى مشوار اليوم الأول.. وقد امتلأت كل اجسادنا بالرمال.. طلب منا الضابط المرافق ان نتفرق وان تسير كل مجموعة منا فى اتجاه معين.. باعتبار ان طائرات العدو قد رصدت المنطقة، وقد تعود مرة ثانية.

انطلقنا كل فى طريق.

فى حوالى الساعة الثالثة.. كنت فى منطقة المثلث عند مدخل السويس.. حيث كنا متواعدين ان نتجمع هناك من اجل بحث الترتيبات الخاصة باستكمال التغطية.

فى الساعة الثالثة والنصف.. طلبت التحرك الى القيادة حتى اجد وسيلة للاتصال بالجريدة.. لا بلاغها برسالتى الاولى من الجبهة.

لسوء الحظ تعطلت السيارة.. لم نجد اى امكانية لاصلاحها.

وقفت على الطريق.. لركوب اى سيارة متجهة الى القيادة.. البداية سيارة لورى عسكرية محملة ببعض الأشياء.. لم يرد قائدها الافصاح عما معه ورفض ان اركب فوق الحمولة او داخل الكابينة.. واكتفى بأن اقف على السلم الخارجى والسيارة متحركة وتحملت الرياح مع سرعة السيارة.. حتى وصلنا الى مسافة تبعد عن المكان بحوالى ١٠ كيلو مترات .. فطلب منى النزول لأنه متجه الى احد المواقع داخل المنطقة الصحراوية.

نزلت.. ووقفت على الطريق مرة اخرى.. وجدت سيارة نقل مياه فارغة كانت قد عادت لتمتلىء بالمياه النقية لتنقلها الى الجنود فى الضفة الشرقية. كانت فى طريقها الى القيادة لم يكن لى مكان فيها سوى ان اقوم باحتضان الخرطوم المجاور لتنك المياه.. حتى وصلنا الى مدخل القيادة. رفض السائق اصطحابى ورفض جنود البوابة دخولى. عدت الى الطريق لابحث عن سيارة ثالثة لاستكمال رحلتى للقاهرة.

فى السادسة مساء.. مجموعة من السيارات.. تخرج من القيادة متوجهة الى القاهرة لاحضار بعض المواد والاغذية اللازمة للقوات. استأذنت قائد مجموعة الشرطة العسكرية المسئولة عن تحركات هذه المجموعة بعد ان بينت له شخصيتى، سمح السائق لى بأن اركب فوق السيارة وسط مجموعة من جنود . ولبرودة الطقس التحفنا بغطاء مملوء بالزيت والشحوم تحملناه من اجل ان نصل الى القاهرة.

قرب العباسية.. شاهدت سيارة تاكسى.. سألته اذا كان متجها صوب «الاسعاف» فوافق.. طلبت من السائق الوقوف ونزلت من السيارة ليحملنى التاكسى الى الجريدة.

الساعة السابعة والنصف.. كنت فى مكتب الاستاذ موسى صبرى رئيس التحرير.. رويت له قصة ما شاهدت.. فطلب ان يتم تصويرى بالزى الذى حضرت به من الجبهة وان اكتب كل ما شاهدت.

وكانت الرسالة الاولى بعناوين فى الصفحة الأولى.. ورسالة تحمل صورتى فى الصفحة الاخيرة.

وهكذا بدأت الجريدة من اولها وانتهيت بها لأول مرة فى مشوارى الصحفى.

اما قصة العبور.. فكانت صباح اليوم التالى.. أى الثامن من اكتوبر بعد ان تناولنا طعام السحور انا وزميلى مكرم الذى كانت الصورة التى التقطها للطائرة الاسرائيلية تحتل صدر الصفحة الاولى بمساحة كبيرة. وقد اعد لنا السحور عمال مطبعة «الأخبار». انطلقنا الى قطاع الجيش الثانى الميدانى بالاسماعيلية لنشارك فى عبور القناة عند مدينة القنطرة غرب «شرقا الى مدينة القنطرة شرق التى كانت قد تم تحريرها مساء اليوم السابق على ايدى رجال الفرقة ١٨ المشاه الميكانيكية.

وكانت القنطرة شرق.. اول مدينة يتم تحريرها فى سيناء.

فى حدود العاشرة صباحا.. عند معبر القنطرة.. كنا فى قافلة مكونة من ٥ سيارات جيب. كنت فى السيارة الاولى مع الضابط المرافق لنا من قيادة الجيش.. افكارى كانت تسابق الزمن.. تلاحق احلامى.. عشت ٦ سنوات كاملة انتظر ككل المصريين تلك اللحظة الغالية. لحظة عبور القناة شرقا الى سيناء. انطلقت السيارة فوق عبارة بمحرك تقطع صفحة القناة شرقا.. نظرت الى مياه القناة.. بدمائنا حفرناها.. وبدمائنا عبرناها لنحرر سيناء... مضى الزمن بطيئا رغم ان العبور لم يستغرق اكثر من دقائق،، كنت احسبها اياما.. فانا فى شوق لتقبيل تراب سيناء ولقاء الرجال البواسل الذين مسحوا الهزيمة واستعادوا الكرامة ورفعوا العلم.

رست العبارة على الشاطىء الشرقى بعد صعوبات واجهتها نظرا لعدم وجود مرسى معد من قبل.. ولكن توالى نزول السيارات من العبارة. قفزت من السيارة. انحنيت الى الارض اقبلها وأتوضأ بترابها. مسحت على وجهى فوجدت دموعا.. هى دموع الفرح وشاهدتها على وجوه زملائى .. وهتفنا الله اكبر تلك الصيحة التى سمعناها من الرجال فى اليوم الأول.. والتى كان لها فعل السحر فى كل القلوب.

عند مدينة القنطرة شرق. وقفت قافلة السيارات. اوامر بعدم الدخول او التوغل فى اى مكان داخل المدينة خشية ان تكون هناك الغام او شراك خداعية.. فالعدو لا يؤمن جانبه.. والاماكن التى سنتحرك فيها قام ابطالنا الذين حرروا المدينة بتطهيرها وتأمينها تعرفنا داخل المدينة على مقر القيادة المتقدم للعدو والذى تم تحريره بعد معركة ضارية استخدم فيها السلاح الابيض والقتال المتلاحم.

اماكن الاقامة التى كانوا فيها.. اخليت بعد دقائق من تحرير المدينة. مسجد المدينة ضربوه.. لكن رجالنا كان تعميره هو اول ما فعلوه.. اذان الظهر انطلق بصوت احد الجنود «الله اكبر.. الله اكبر»..

توجهنا والضباط والجنود لأداء صلاة الظهر جماعة.. ثم ادينا صلاة الشهيد على من سقط من الرجال الابطال فى معركة تحرير المدينة.

استمعنا الى قصة التحرير.. البطولات التى قام بها الرجال . فلم تكن هذه المعركة فى اطار الحرب النظامية بل كانت اول معركة على ارض سيناء لتحرير مدينة.. او معركة مواجهة بين المارد المنطلق وبين هؤلاء الذين كانوا يختلقون البطولات ويدعون ان ذراعهم طويلة لا تقهر .

صورة مختلفة تماما.. فالقتال لم يستغرق الكثير كما كنت وغيرى نتوقع.. نظرا لما كنا نقرؤه ونسمعه عن العدو، المواجهة كانت سهلة يسيرة لم تكن صعبة عسيرة.

هذه الصورة. كانت موضوع رسالتى الثانية فى حرب اكتوبر.. معركة القنطرة شرق التى قام بها ابطال الفرقة (١٨).

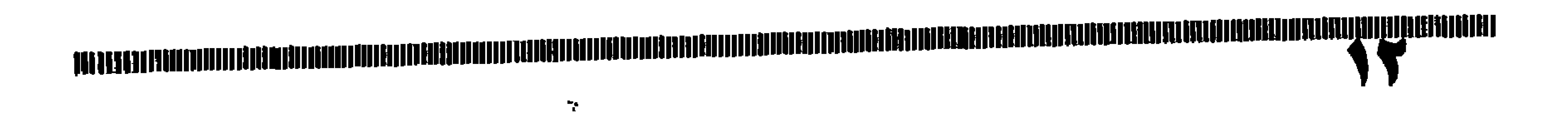
●●●

ذكريات كثيرة.. وعديدة. لا تغيب اراها وكأنها تحدث الآن.

بطولات فذة.. كنت أتصور ان مكانها هو الأساطير، ولكنى شاهدتها حية تسطرها السواعد السمراء بدماء الأبطال.

والصفحات القادمة.. قصص بطولات تكشف أسرارا جديدة لأشرف معارك النصر.. وهى رغم كل ما تحمله من وقائع وما تذيعه من خفايا وخبايا.. مجرد سطور فى كتاب لا تنتهى صفحاته.

□ **فاروق الشاذلى**





خبايا
حرب
أكتوبر

ساعة لا ينساها

حسنى مبارك



رتبة الفريق للواء طيار حسنى مبارك فى حفل تكريم قادة أكتوبر فى مجلس الشعب

غرفة عمليات القوات الجوية، ظهيرة يوم السادس من اكتوبر ١٩٧٣.

هدوء حذر يلف المكان.. اللواء طيار محمد حسنى مبارك قائد القوات الجوية، يصدر أوامره للقواعد الجوية باقلاع بعض الطائرات حتى تلتقطها شاشات رادارات العدو، ويبدو الأمر طبيعيا.

●●●

الساعة الواحدة والنصف ظهرا.. طائرات «التوبوليف» تحلق فوق منطقة التل الكبير غرب القناة لضرب الاهداف الاسرائيلية فى عمق سيناء

●●●

عشر دقائق تمر.. يعطى اللواء طيار حسنى مبارك الأمر بانطلاق ٢٤٠ طائرة من مختلف القواعد الجوية، لتحلق على ارتفاعات شديدة الانخفاض وتعبرقناة السويس

شرقا نحو أهدافها المحددة فى عمق سيناء.

●●●

لحظات تمر. ويأتيه صوت أحد معاونيه..يا فندم.. الطيارون نفذوا الأوامر.. وأقلعت الطائرات نحو سيناء.

يبتسم اللواء حسنى مبارك.. يأخذ نفسا عميقا.. وتتمتم شفتاه بكلمة: يارب.. اخيرا جاءت اللحظة التى كان ينتظرها وتنتظرها مصر.. استعد لها جيدا وأعد لها الرجال.. والتوفيق فى النهاية من عند الله.. لم يساوره ادنى قلق، فايمانه بالله عميق وثقته بقدرات نسور مصر كبيرة.. غمره شعور طاغ بالطمأنينة.. الليلة الماضية امضاها فى نوم عميق.. استيقظ هادئا مرتاحا فى الصباح الباكر.. وذهب الى مكتبه فى قيادة القوات الجوية. أملَى على رئيس شعبة العمليات الجوية اوامر وخطة تحرك سلاح الطيران.. وامضى الوقت فى لقاءات مع قادة وحدات الطيران حتى اقتربت ساعة الصفر.

●●●

يدق جرس التليفون فى غرفة العمليات، المكالمة من قائد الطائرة الخاصة بقائد القوات الجوية.. يستفسر عن ساعة السفر الى ليبيا!

كان محدد ضمن خطة التمويه والخداع قبل الحرب الاعلان عن سفر اللواء طيار مبارك فى زيارة الى ليبيا يوم ٦ اكتوبر.. نفس يوم الحرب.. وكانت الساعة المحددة للسفر الحادية عشرة صباحا.. أرجأ حسنى مبارك موعد السفر ساعة ثم ساعة اخرى. حتى جاءته مكالمة قائد طائرته.

ويرد اللواء طيار حسنى مبارك على قائد الطائرة بكلمتين: الحرب بدأت!

●●●

حقا بدأت الحرب.. نسور مصر يحلقون الآن فى سماء سيناء.. وقلب قائدهم معهم.. إنه يعرفهم فردا.. فردا تتلمذوا على يديه فى الكلية الجوية عندما كان مدرسا بالكلية ثم مديرا لها.

تولى منصب المدير فى ظروف اكثر من صعبة.. فى نوفمبر ١٩٦٧/.. بعد ٥ شهور فقط من يوم الكارثة!.. بصبر وجلد بدأ منذ اليوم الاول مهمته المضنية، امداد القوات الجوية بأكبر عدد من الطيارين الأكفاء الواثقين فى أقل وقت ممكن.. استعدادا للمعركة القادمة! وفى عام ونصف ينجح العقيد طيار حسنى مبارك مدير الكلية الجوية فى

تخريج ٦ دفعات من الطيارين.

وفى نهاية عام ١٩٦٨، يأتى الرئيس جمال عبدالناصر لزيارة مطار بلبيس.. ويصافح العقيد طيار حسنى مبارك مدير الكلية الجوية... ثم ينظر اليه قائلا: «انت هنا بتعمل ايه يا مبارك؟!».. ويدرك مبارك على الفور معنى السؤال.. ان الرئيس اختار له منصبا آخر.. وبالفعل تتم ترقية العقيد طيار حسنى مبارك لرتبة العميد ويعين رئيسا لأركان القوات الجوية فى ٢٢ يونيو ١٩٦٩.. اى انه اصبح الرجل الثانى فى القوات الجوية.. وأصبحت مهمته ليس فقط تخريج النسور الجدد. وإنما المشاركة فى اعادة بناء القوات الجوية لمعركة التحرير.


الفريق حسني مبارك
قائد القوات الجوية

يستمر العمل الشاق.. لا مجال للاسترخاء او الراحة.. وهما على أية حال أمران يتنافران مع طبيعة حسنى مبارك.. التى يعرفها الجميع منذ كان ملازما طيارا.. وفى ابريل ١٩٧٢.. يبلغ وزير الدفاع، اللواء طيار حسنى مبارك رئيس اركان القوات الجوية بقرار الرئيس انور السادات بتعيينه قائدا للقوات الجوية..

وتدخل استعدادات القوات الجوية مرحلة جديدة يضع مبارك مع معاونيه الخطة الخاصة بالطيران.. ويجرى التنسيق بين باقى الافرع.. ليتم اعداد الخطة العامة للقوات المسلحة ككل فى شكلها النهائى.. يتواصل التدريب ليل نهار بجدية لا نظير لها..

الدقائق تمضى بطيئة فى غرفة عمليات الطيران.. القائد ومعاونوه فى انتظار نتائج الضربة الجوية الأولى..

وتعود الذاكرة باللواء طيار حسنى مبارك الى اسابيع مضت.. يومها ذهب مع الرئيس

السادات الى منزله بقرية ميت ابو الكوم.. قال له السادات: «لقد انضرب الطيران المصرى مرتين.. مرة سنة ١٩٥٦ . ومرة ثانية سنة ١٩٦٧.. و لقد طلبتك اليوم لأسالك سؤالا محددا وأريد ان اسمع منك اجابة واضحة محددة.. هل القوات الجوية مستعدة للمعركة ام لا؟! يجيب اللواء طيار حسنى مبارك دون تردد قائلا:« ان قواتنا قادرة على القيام بواجبها فى اطار المهام التى كلفت بها، وعلى هذا الاساس أقول بمنتهى الثقة، إننا على أتم الاستعداد لخوض المعركة.

●●●

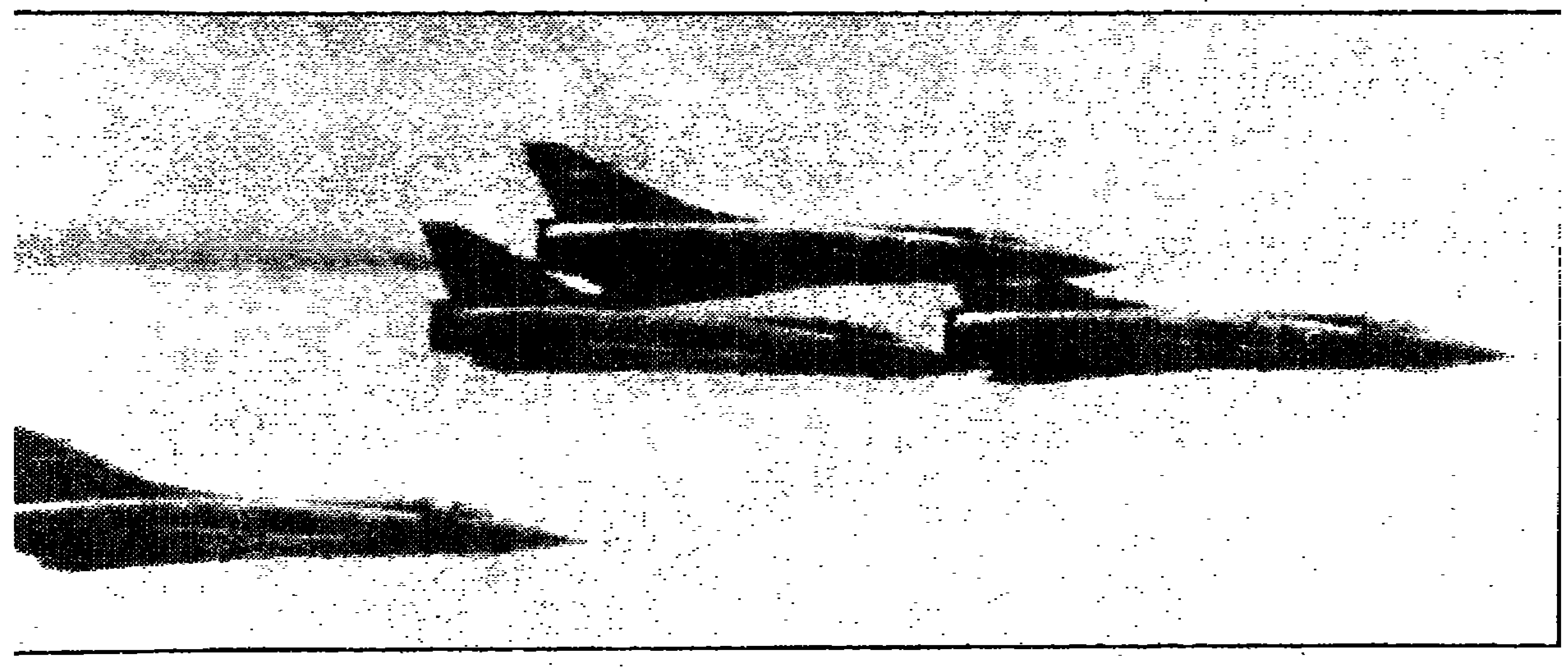
ويخرج اللواء طيار حسنى مبارك من خواطره فى غرفة عمليات الطيران على اول تقرير يصل عن نتائج الضربة الجوية.. النتائج مبهرة..

وتتوالى التقارير.. نجاح الضربة فاق كل تصور.. ويردد الجميع.. الحمد لله.. عادت الطائرات الى قواعدها سالمة.. التوقعات كانت تشير الى فقدان نحو ٥٠ طائرة فى الضربة الاولى.. والمفاجأة ان الخسائر لم تزد على ٦ طائرات.. يطلب القائد من قادة التشكيلات الجوية تأكيد المعلومات .. يعود الجميع للتأكيد على صحة المعلومات.

يرفع اللواء طيار حسنى مبارك سماعة التليفون ويطلب الرئيس السادات فى غرفة عمليات القوات المسلحة ويقول له: «الحمد لله.. نفذنا العملية.. وخسائرنا محدودة»..

يسأله السادات: «هل أنت متأكد »؟! فيجيبه قائلا: «نعم لقد نجحنا بنسبة ٨٠٪».

وكان حسنى مبارك يعلم ان نسبة النجاح الحقيقية ٩٥٪.



القاذفات المصرية تحلق على ارتفاع منخفض لقصف أهداف العدو فى الضربة الجوية الأولى



خبايا
حرب
أكتوبر

سر النوتة
الزرقاء

انضباط. جدية. التزام. ثقة. بالنفس كفاءة عسكرية. قدرة قيادية. فكر مرتب. نبرات قوية. ذاكرة من فولاذ!

هذه سمات المشير محمد عبدالغنى الجمسى التى أعرفها عنه ولمستها منه منذ مايزيد على ربع قرن.

كثيرا ما كنت أشاهد اللواء محمد عبدالغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة فى الشهور التى سبقت حرب اكتوبر. كنت أراه قائدا صارما.. صموتا.. يتمتع باحترام وتقدير مساعديه ومرءوسيه.. وكان يحرص على ارتداء «الاوفرول» او زى القتال فى كل الاوقات..

وفى خلال ايام المعركة لم ألتق به. كان مقيما فى مركز العمليات الرئيسى للقوات المسلحة يدير المعارك على كل المحاور. وكنت أتابع المعارك على جبهة القتال فى قطاعى الجيشين الثانى والثالث لاعداد الرسائل الصحفية عن بطولات الرجال.

بعد ان خمدت نيران البارود.. زادت اللقاءات.. كنت أرافق الفريق محمد عبدالغنى الجمسى الذى أصبح رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة فى زياراته المتعددة للتشكيلات والوحدات بعد النصر.

كنت أراه وكأنه استطال قامة. لم يحد النصر من جديته وحرصه على الانضباط بل ربما كان العكس هو الصحيح، كل ماتغير فيه هو تبدل نظرات عينيه النفاذة. حلت السعادة محل الحزن العميق!

استمرت صلتى بالفريق أول محمد عبدالغنى الجمسى القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية بعد ان تولى منصبه الرفيع خلفا للمشير المرحوم احمد اسماعيل على وزير حرب اكتوبر. وفى مواقف كثيرة كان يثبت ادراكه الواعى بدور الصحافة والاعلام العسكرى كنافذة يطمئن منها الشعب على قواته المسلحة.

وبعد ان تقاعد المشير محمد عبدالغنى الجمسى.. كنت أراه فى المناسبات. وأتابعه من

خلال كتبه القيمة التى كانت تتحدث عن حرب اكتوبر بمختلف زواياها ونتائجها.

مضت السنوات.. وفى ذكرى حرب أكتوبر التقيت مع المشير الجمسى وجدته كما هو.. نفس الجدية والثقة والفكر المرتب والذاكرة الفولاذية. زاد عليه رصيد خبرة بالمواقف والاحداث عمقتها السنون!

وفى حوار فريد.. رسم المشير الجمسى صورة كاملة للموقف العسكرى والسياسى منذ حرب ١٩٦٧ وحتى قيام حرب اكتوبر..

●● قال المشير الجمسى: لعلنا نتذكر ان حرب يونيه ١٩٦٧ ترتب عليها ضياع سيناء او احتلال اسرائيل لسيناء والضفة الغربية وقطاع غزة والجولان ومرت القوات المسلحة بفترة صعبة بعد حرب يونيه ١٩٦٧ أعيد فيها بناء القوات المسلحة من القاع الى القمة.

ودخلنا سلسلة من المعارك فى منطقة قناة السويس التى تصاعدت الى حرب الاستنزاف وترتب على ذلك ان الولايات المتحدة الامريكية فرضت قوة اسرائيل على الدول العربية فى ذلك الوقت لأن السياسة الامريكية كانت تدعم اسرائيل دعما كاملا تؤيدها سياسيا وتدعمها عسكريا واقتصاديا. بينما كان الاتحاد السوفيتى يرفض العمل العسكرى فى ذلك الوقت .وبالتالى كان امداده لنا بالاسلحة فى مصر وسوريا محدودا وتنفيذا لسياسته فى عدم اثارة حرب فى المنطقة. كان ذلك انعكاسا واضحا لسياسة القوتين الكبيرتين.

اما اسرائيل فقد أصبحت فى موقف سياسى استراتيجى اكثر قوة من العرب باعتبارها وصلت لقناة السويس جنوبا ونهر الاردن شرقا والجولان شمالا وقد علمتهم خبرة الحروب السابقة مع العرب أنه لاتعاون بين الدول العربية فى العمل العسكرى اطلاقا وبالتالى يمكنها ان تنفرد بكل دولة على حدة.

تقدير سليم

قدرت اسرائيل وكان تقديرها سليما ان الجبهة الرئيسية لها هى القوات المسلحة المصرية التى اصبحت عدوها الرئيسى فأقامت خط بارليف فى منطقة قناة السويس ووضعت فى سيناء قوات كبيرة للدفاع عنها تحسبا لأى عملية تقوم بها القوات المصرية كما انشأت مطارين وشقت الطرق.. وبدأت تتحدث عن ان قناة السويس اصبحت هى الحدود المؤمنة لها من اتجاه مصر.

وآخر خاطىء

وقدرت اسرائيل وكان تقديرها خاطئا فى ذلك الوقت ان القوات المصرية غير قادرة على عبور واقتحام قناة السويس بقوات كبيرة .وقال رئيس الاركان حينذاك الجنرال ديفيد اليعازار إنه لو تجاسر المصريون بالهجوم واقتحام قناة السويس فستكون قناة السويس

مقبرة لهم على اساس انه من الصعب اجتياز الموانع المائية، واصعب مانعين فى العالم هما قناة السويس وقناة بنما.

فى الجانب المصرى كان التخطيط لمواجهة الموقف اما ان نعود مرة اخرى الى حرب الاستنزاف التى تجاوزناها بعد قبولنا مبادرة روجرز، وإما ان نقوم بحرب شاملة.

بديل غير مقبول

كان حرب الاستنزاف بديلا غير مقبول سياسيا او عسكريا لأنه لا يؤدى الى تحرير سيناء ولايزيد على عمليات تبادل قصفات نيران بالمدفعية او الطيران ولايترتب على ذلك تحقيق هدف سياسى او هدف عسكرى ، لذلك كانت حرب الاستنزاف فى ذلك الوقت مستبعدة من الناحيتين السياسية والعسكرية.



المشير محمد عبدالغنى الجمسى

البديل الثانى كان القيام بعملية هجومية ضد قوات العدو فى سيناء ضمن إطار استراتيجية شاملة للدولة، وتقوم القوات المسلحة بالدور الرئيسى فى هذه العملية، كانت مشكلتنا هى التسليح لأننا فكرنا ان نقوم بعملية هجومية واحدة لتحرير سيناء.. وهذا لم يكن ممكنا اطلاقا تنفيذه من الناحية العملية لأن الاتحاد السوفيتى كان يرفض اعطائنا وامدادنا بالاسلحة التى نرغب فيها لتحرير سيناء مرة واحدة.

قرار السادات

وعلى هذا الاساس اتخذ القرار فى عام ١٩٧٢ بواسطة الرئيس السادات فى المجلس الاعلى للقوات المسلحة قرر ان نحارب بما لدينا من اسلحة ومعدات فقط ولاننتظر اكثر من ذلك والا سوف تتآكل القضية المصرية.

كان القرار ان نقاتل بالاسلحة الموجودة عندنا ، نقاتل بها وأن نحرر سيناء تدريجيا مرحلة بعد اخرى الى ان يتم تحرير الأرض ،كان الهدف ان تقوم القوات المسلحة

بالعملية العسكرية وتحقيق النصر، على ان تلعب السياسة دورها وبالتالى يتحقق تحرير سيناء وهذا ما حدث فعلا.

كان ذلك هو القرار السليم على ضوء البدائل الموجودة امامنا. كانت سوريا فى نفس الموقف لاتستطيع تحرير الجولان بمفردها ولاتقدر على القيام بعمل جدى بمفردها.

تقارب مع سوريا

حدث تقارب سياسى بين مصر وسوريا بعد تولى الرئيس الاسد الحكم سنة ١٩٧٠ تقابل مع الرئيس وأصبح العمل العسكرى مهيأً بين القوات المصرية والسورية. وبالتالى اتفقنا ان يكون العمل العسكرى ضد اسرائيل مشتركا بين مصر وسوريا.

ومن هنا نشأت الخطة العسكرية التى اطلق عليها «بدر» ونفذت فى حرب اكتوبر ١٩٧٣.

الخطة «بدر» باختصار شديد هى قيام القوات المصرية والقوات السورية بهجوم مشترك ضد القوات الاسرائيلية فى سيناء والجولان. تبدأ الحرب بضربة جوية من مصر وسوريا ضد الاهداف الاسرائيلية الموجودة فى سيناء والجولان يلى ذلك تمهيد نيرانى بالمدفعية فى الجبهتين ثم تستمر الجبهة السورية حتى تحرير الجولان، اما القوات المصرية فتنشىء رؤوس كبارى على الضفة الشرقية للقناة بواسطة الجيشين الثانى والثالث على طول خط المواجهة لمسافة ١٧٠ كيلو مترا. ثم تتقدم القوات حتى خط المضايق، على ان تقوم القوات البحرية للطرفين المصرى والسورى بتأمين شواطئنا البحرية سواء فى مصر او فى سوريا.

وبانتهاء او بتنفيذ هذه الخطة كما نقدر ان هزيمة القوات الاسرائيلية فى هذا الوقت سيرغمها على قبول الحل السلمى والحل السياسى لتحرير سيناء.

هدف الوثيقة

● قلت للمشير الجمسى: هل الفترة بين صدور وثيقة الأمر بالحرب يوم اول اكتوبر وبين ساعة الصفر ظهر يوم ٦ اكتوبر تعد كافية؟

●● المشير الجمسى: بعد توقف القتال بيننا وبين اسرائيل نتيجة لمبادرة روجرز سنة ١٩٧٠ بدأ التفكير فى العمليات العسكرية ووضع الخطط العسكرية بصرف النظر عن انها وثيقة، لأن المجلس الاعلى للقوات المسلحة كان يعقد دوريا برئاسة الرئيس السادات فى ذلك الوقت وبناء عليها كانت التعليمات ان الحرب قادمة وليس هناك بديل لها.

الهدف من الوثيقة الرسمية أن تكون تاريخا فى ايدى الناس ولقد صدرت يوم أول اكتوبر. غير انه قبل ذلك كانت الاوامر تصدر شفوية عام ١٩٧٢ اعتبره عام الحسم بيننا وبين اسرائيل لأن فيه اتخذت اجراءات كثيرة جدا من ناحية التخطيط ومن الناحية

السياسية ومن نواح اخرى يمكن اجمالها فى ٤ اجراءات واضحة.

١- الاستغناء عن المستشارين السوفيت فى يوليه ٧٢ وكان هذا نوعا من الاحتجاج على الاتحاد السوفيتى لأنه كان يرفض اعطاءنا اسلحة فى ذلك الوقت. وقد كان هذا ضربة قوية للعلاقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتى.

٢- فى ٢٤ اكتوبر ١٩٧٢ انعقد المجلس الاعلى للقوات المسلحة برئاسة الرئيس السادات وقال لنا: ليس هناك مجال لحل سلمى فالحل السلمى معناه استسلام ولن نقبل ان نستسلم وبالتالى يجب ان تستعد القوات المسلحة للحرب بما لديها من اسلحة ولاننتظر تسليحا آخر من الاتحاد السوفيتى وأن نحارب بما لدينا من اسلحة وكان ذلك قرارا حكيما.

٣- تعيين احمد اسماعيل على قائدا عاما للقوات المسلحة فى يوم ٢٦ اكتوبر ١٩٧٢ وكان هذا القرار خطوة رئيسية للاستعداد للحرب لأن الفريق اسماعيل ينادى بما ينادى به الرئيس السادات. وبدأ يؤهل القوات المسلحة للحرب بما لدينا من اسلحة بحيث نراعى ان تكون المهام فى حدود قدرتنا.

٤- فى عام ١٩٧٢ ازداد التعاون جدا بيننا وبين سوريا واتفقنا على اعمال كثيرة مشتركة فى ذلك الوقت.

نخلص من ذلك ان البداية لم تكن فى اول اكتوبر ١٩٧٣ وانما بدأنا الاستعداد للحرب قبل عامين من الحرب. اى بعد ايقاف النيران بيننا وبين اسرائيل نتيجة لمبادرة روجرز سنة ١٩٧٠.

تعددت الخطط وتعدلت على ضوء اوضاعنا واستمر التدريب لأننا ندرك ان مهمتنا هى التغلب على المانع المائى الموجود أمامنا وتدريب القوات على اجتيازه وحل هذه المشكلة لأنها كانت المشكلة الرئيسية التى تواجه معركة العبور الرئيسية التى سنبدأ بها افتتاحية حرب اكتوبر ١٩٧٣.

الاستنزاف.. والاعداد

● قلت : ما الفارق بين الدور الذى كانت تقوم به القوات المسلحة فى حرب الاستنزاف ودورها خلال العامين اللذين سبقا حرب اكتوبر.. هل يختلف الدور فى حرب الاستنزاف عن المرحلة التى سبقت الحرب؟

●● المشير الجمسى: طبعا.. طبعا.. حرب الاستنزاف كانت سلسلة من المعارك التى تمت لمدة سنة ونصف او سنتين.

كانت حرب الاستنزاف معارك بالمدفعية وقوات تعبر ودوريات واعمالا خلف خطوط العدو

وهجمات جوية من الطرفين وضرب للعمق فى مصر كما عملت اسرائيل وكانت هجماتنا الجوية لها طبيعتها.

لهذا كان لايتحقق هدف استراتيجى وانما يتحقق الهدف التكتيكى والهدف السياسى فى ذلك الوقت للطرفين.

عندما اوقف القتال اصبحنا فى مرحلة جديدة تماما. كان لابد ان نفكر تفكيرا آخر لاستخدام القوات المسلحة فى عملية هجومية شاملة تكون هى بداية العمل السياسى والعسكرى بين مصر واسرائيل وهو امر مختلف تماما عن حرب الاستنزاف.

حرب الاستنزاف افادت مصر اكثر مما افادت الاسرائيليين فهى كانت بمثابة تطعيم للمعركة للقوات المسلحة المصرية خلال العامين اللذين سبقا حرب اكتوبر، وبدون حرب الاستنزاف وبدون الاعمال التى تمت فيها ما كان يمكن للقوات المسلحة ان تكون لها قدرة قتالية فى حرب اكتوبر ١٩٧٣.

المفاجأة

● قلت: البعض قال ان عملية الخداع الاستراتيجى التى تمت كان لها الدور الرئيسى فى تحقيق النصر والخبراء فى الاستراتيجية اكدوا ان العملية التى تمت فى الخداع كانت هى السبب فى تحقيق النصر خلال الساعات الست الاولى التى تمكنا فيها من إقامة رءوس الكبارى.. ما رأيكم فى ذلك؟

●● المشير الجمسى: الحرب علم له مبادىء ومعنى مبادىء الحرب الحشد وتحقيق المفاجأة والتعاون. والطرف الذى يستخدم مبادىء الحرب بطريقة سليمة هو الذى يكتب له النجاح ولكن لماذا سعينا لتحقيق المفاجأة أقول:

اولا: كنا سندخل الحرب والعدو معروف ان له التفوق العسكرى علينا علما بأننا سنكون مهاجمين وهو مدافع والوضع الطبيعى ان يكون المهاجم أقوى من المدافع.

ثانيا: كنا سندخل الحرب والعدو فى خط بارليف المحصن على الضفة الشرقية للقناة وعبور الموانع المائية صعب كعملية هجومية فما بالك بالتحصينات التى اقامها على طول ١٧٠ كيلو مترا بين بورسعيد والسويس. كنا سندخل الحرب بقوة جيشين هما الجيش الثانى و الثالث وقوات قطاع بورسعيد، كانت عملية اجتياز الموانع المائية صعبة فما بالك بقوات كبيرة بهذا الحجم تحتاج لاعمال كثيرة وقد امضينا سنتين لكى نذللها.

ثالثا: كنا سندخل الحرب ومعروف ان اسرائيل لها جهاز مخابرات ناجح ومشهور إنه يتعاون مع المخابرات الامريكية وعلى هذا الاساس اذا كان سيكتشف نوايانا الهجومية فسوف يقوم بضربة اجهاض للقوات المصرية وفى نفس الوقت يستدعى احتياطيه لأن

الجيش فى معظمه من عناصر الاحتياط.

لهذه الاسباب كان من الضرورى أن نسعى لتحقيق المفاجأة لنمنع العدو من القيام بضربة اجهاض ونمنعه من استدعاء الاحتياطى قبل أوانه حتى يتأخر يومين لحين تنفيذ العبور، بهدف ان نعبر بأقل خسائر ممكنة وتنجح العملية الهجومية رغم صعوبتها الموجودة.

اغلاق باب المندب

● سيادتك قلت: ان أمر الحرب صدر يوم اول اكتوبر ١٩٧٣ ونحن نعلم ان قواتنا البحرية تحركت قبل شهر من الحرب وأغلقت باب المندب.. هل كان هذا فى اطار الخطة ام فى اطار مناورة استغلت؟

●● المشير الجمسى: نحن لم نتحدث عما قمنا به لتحقيق المفاجأة ولكى نحققها قمنا بعدة اجراءات:

الاجراء الاول: قمنا بمناورة تبدأ يوم اول اكتوبر وتنتهى يوم ٧ اكتوبر ١٩٧٣ وتحت ستار المناورة التى تشترك فيها القوات المسلحة الجيشان والطيران والبحرية والدفاع الجوى وأجريت اللمسات الاخيرة لحرب اكتوبر ١٩٧٣ كنا نريد ان يشعر الشعب والعدو بالمناورة.. استدعينا احتياطيا ثم سرحنا جزءا منه واحتفظنا بجزء.. سرحنا جزءا قبل الحرب بـ ٣ ايام وهذه كانت رسالة واضحة لاسرائيل لكى تعلم اننا نتدرب تدريبا عاديا أجريناه فى نفس السنة.. وكان ذلك من ضمن عناصر المفاجأة بالنسبة لهم.. فقد اعتقدوا اننا نكرر التدريب الذى أجريناه فى خلال ا لسنة..

الاجراء الثانى: طبقا لخطة كان يجب اغلاق باب المندب.. اتفقنا مع دولة اسيوية صديقة قبل الحرب بعدة شهور لكى تستقبل المدمرات التابعة لقواتنا البحرية على اساس أنها تحتاج الى عمرة واصلاحات وكان ذلك طبيعيا. وبعد ما أخذنا الموافقة عملنا خطة سير المدمرات ..القوات البحرية اعدت خطة وطلبنا من السودان واليمن الجنوبية زيارة ودية لقواتنا لعدن وتم اعداد خط سير المدمرات بحيث تغادر الميناءين فى الوقت المناسب وتكون يوم ٦ اكتوبر فى باب المندب. وكان مع قائد القوة مظروف سرى مغلق وعندما وصلته تعليمات من قيادة القوات البحرية بفتح المظروف قام بفتحه ووجد فيه تعليمات قتال بإغلاق باب المندب والتعرض لخطوط المواصلات لمنع اى امداد بحرى الى ميناء ايلات لاسرائيل خصوصا البترول الذى كان يصلها من ايران.

الاجراء الثالث: اعلنا فى الجرائد المصرية عن فتح باب اداء العمرة للعسكريين ككل عام وكان نشرها فى الجرائد رسالة لاسرائيل لانهم يطالعون جرائدنا ونحن نطالع

جرائدهم. وتم النشر فى صورة موضوع عادى جدا لاظهار اننا لانفكر فى الحرب بدليل ان جزءا من الافراد العسكريين سيسافرون لأداء العمرة.

ثم اضفنا لكل تلك الإجراءات.. اجراء آخر.. فقد طلب وزير الدفاع الرومانى ان يزور مصر يوم ٨ اكتوبر ١٩٧٣ ووافقنا وبالتالى القيادة العامة وافقت وحددت برنامج الزيارة وكنا نعلم ان الحرب ستقوم يوم ٦ اكتوبر وكان هو سيلغى الزيارة فور نشوب الحرب..

السرية المطلقة

وكان من أهم الاجراءات. الحرص والسرية المطلقة اثناء فترة الاعداد للقتال. لم نسمح لأحد ان يسمع شيئا عن ميعاد الحرب مطلقا. وبالتالى.. كل مستوى كان يأخذ معلومات وأوامر من القيادة العامة بشأن توقيت الحرب بالنسبة له وحده فقط. بمعنى ان القادة الكبار يعلمون فى يوم والأقل فى يوم آخر وهكذا حتى ٦ اكتوبر ويكون كل الناس قد اخذت الامر دون ان يتسرب اى شىء ومنعت المكالمات التليفونية او المكاتبات بخصوص الاوامر. وكانت شفوية.. ثم تدون ويوقع عليها وتوضع فى الخزائن ولا يعلم احد شيئا عنها.

كذلك يوم وساعة الهجوم.. الناس تعتقد اننا اخترنا الهجوم لأنه يوافق يوم كيبور فى اسرائيل وهذا غير صحيح لأن هناك عوامل علمية وفنية وعملياتيه هى التى جعلتنا نحدد يوم ٦ اكتوبر كاحد الايام المحتملة للحرب فى خلال عام ١٩٧٣ وعندما كنا ندرس تحديد يوم الهجوم وصلنا الى انسب ٤ شهور اما مايو او اغسطس او سبتمبر او اكتوبر وكل شهر مناسب لنا للهجوم كل شهر عملنا منه اليوم او الايام المناسبة فى كل شهر وعرضت على القيادة السياسية وبناء على الدراسات اختير يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ لانه يمتاز بنواح فنية كثيرة.

اعود للحديث عن المفاجأة .. المفاجأة كانت لاسرائيل والعالم كله ولإسرائيل بالذات التى تهمنا فى يوم كيبور..

زيارة ديان

جاء ديان فى صباح ٦ اكتوبر وزار الجبهة والقوات على الضفة الشرقية وهنأهم بيوم كيبور وطلع السلالم العالية فى الضفة الشرقية وشاهد القوات المصرية على الضفة الغربية وجد ان الوضع عادى جدا وان كل الاعمال تتم بصورة عادية جداً.. كان افراد القوات المصرية يلعبون وجزء منهم يسبح فى المياه وجزء من الشركات المدنية تعمل فظن انه ليس هناك اى شىء غير عادى ورجع حتى قامت الحرب فى الثانية وخمس دقائق وكانت مفاجأة له ولقيادته بالكامل.

واعترف ديان فى مذكراته بأن الحرب كانت مفاجأة لهم والجنرال اليعازر قال: انه حزين

لأن العادة جرت ان يبدأوا هم الهجوم ولكن لأول مرة كانت للعرب المبادأة فى الهجوم كل اجراءاتنا كانت تتم شفويا. والوثيقة الاولى صدرت لتكون تاريخية عن الحرب وصدرت بعدها بأربعة ايام وثيقة اخرى.

● قلت: ما البطولة التى لفتت نظر سيادتك؟

●● الجمسى: هناك بطولات كثيرة وأخشى ان اتكلم عن واحدة واترك الكثيرين واكون قد هضمت حقهم. ان هناك بطولات فى القوات البرية والبحرية والجوية والدفاع الجوى.. كلها بطولات تحتاج موضوعا كاملا للحديث عنها.

«النوتة»!

● قلت: «النوتة» التى تحملها سيادتك الآن.. هل تشبه «نوتة» اكتوبر الشهيرة؟

●● المشير الجمسى: منذ ان اصبحت مقدما او برتبة عقيد اركان حرب وعندى نوتة زرقاء وأخرى غلافها اسود.. النوتة الزرقاء ادون فيها عن العدو، والاخرى عن قواتنا ومشيت على هذا الاسلوب.. الاثنتان موجودتان.. اكتب فيهما كل شىء حتى تنتهى اوراقهما.. واستمررت على ذلك حتى خرجت من الخدمة وعندما قررت ان اكتب مذكراتى وضعت النوتتين وكتبت مذكراتى..

القرار الثانى

● قلت: سيادتك اشرت الى ان هناك قرارا آخراصدره الرئيس السادات بعد القرار الاول الذى صدر فى اول اكتوبر.. هل تتذكر القرار الثانى؟

●● المشير الجمسى: فى يوم صدور الوثيقة الاولى فى اجتماع المجلس الاعلى للقوات المسلحة فى اول اكتوبر ١٩٧٣ كان هناك اجتماع فى رئاسة الاركان الاسرائيلية فى نفس اليوم.. وسألوا الجنرال زعيرا مدير المخابرات الحربية الاسرائيلية عن رأيه فى المناورات التى تجريها مصر والنشاط الزائد من مصر وسوريا.. قال ان ما يتم جرى قبل ذلك فى نفس العام واقصى ما يمكن ان تقوم به مصر وسوريا ان يفتحا النيران من بعض الاسلحة او يحدث بعض التراشق بالنيران او القوات الجوية وسيكون ذلك للاستهلاك المحلى لأن الحالة سيئة فى كل من مصر وسوريا وقد حوكم زعيرا بسبب ذلك.

نص الوثيقة الثانية

وفى يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٧٣ اصدر الرئيس السادات توجيها استراتيجيا للفريق احمد اسماعيل مؤرخا فى ٩ رمضان ٥ اكتوبر ١٩٧٣ .. نص على الآتى:

١- بناء على التوجيه السياسى العسكرى الصادر لكم منى فى اول اكتوبر ١٩٧٣ وبناء على الظروف المحيطة بالموقف السياسى والاستراتيجى قررت تكليف القوات المسلحة

بتنفيذ المهام الاستراتيجية الاتية:

أ- ازالة الجمود العسكرى الحالى بكسر وقف اطلاق النار اعتبارا من يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣.

ب- تكبيد العدو اكبر خسائر فى الافراد والمعدات.

جـ- العمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل متتالية حسب نمو وتطور امكانيات وقدرات القوات المسلحة.

٢- تنفيذ هذه المهام بواسطة القوات المسلحة المصرية منفردة او بالتعاون مع القوات المسلحة السورية.

وعندما اطلعنى الفريق احمد اسماعيل ، على هذا التوجيه الاستراتيجى طلبت منه معرفة الاسباب التى من اجلها ارسل الرئيس السادات هذه الوثيقة لنا رغم ان لدينا التوجيه الاستراتيجى المؤرخ فى اول اكتوبر ١٩٧٣ والذى يقضى بالحرب وان الهدف الاستراتيجى محدد فيه وان خطة العمليات التى ستنفذ معروفة له تماما وان الحرب تبدأ يوم ٦ اكتوبر.

قال لى الفريق احمد اسماعيل: انه هو الذى طلب هذا التوجيه حتى تكون الامور للتاريخ محددة بوضوح ففى الوثيقة الجديدة نص صريح بكسر وقف اطلاق النيران يوم ٦ اكتوبر ولم يكن ذلك محددا من قبل. «علما بان هذا القرار سياسى قبل ان يكون عسكريا» كما أن الوثيقة الجديدة تنص صراحة على العمل على تحرير الأرض على مراحل متتالية حسب نمو وتطور امكانيات القوات المسلحة حتى لا يفهم مستقبلا انه كان مطلوب تحرير سيناء بالكامل وهذ يؤكد المهام الاستراتيجية المحددة للقوات المسلحة من القيادة السياسية للقوات المسلحة.

قال احمد اسماعيل: ان الشعب كله سيعتقد اننا سنحرر سيناء ونحن لن نحرر سيناء وانما ذاهبون حتى المضايق ولابد ان يقول السادات ذلك باعتباره القائد السياسى.

● قلت: معقول تصل الامور لهذه الدرجة؟

●● قال لى: هذه حرب وسياسة وفى الآخر سنحاسب سيسألوننا لماذا لم نحرر سيناء.. وقتها سنقول اننا لم نحررها لان الرئيس السادات قال: ان يتم التحرير على فترات ومراحل متوالية لأنه ليس لدينا القوات التى تقدر على ذلك.

لو طالت الحرب؟!

● قلت للمشير الجمسى: هل كنا قادرين بما لدينا من قوات ان نقوم بمثل هذه الحرب الكبيرة.. هل كان السلاح يكفينا فى الحرب لوطالت؟

●● الجمسى: بالاسلحة التى كانت معنا حاربنا حتى يوم ٢٨ اكتوبر وكنا نقدر ان نستمر أكثر من ذلك ولدينا الاحتياطى الاستراتيجى حتى لايحدث اى شىء.. الدليل اننا فى الثغرة التى لم تكن مقدرة ، عملنا ٤٥٢ اشتباكا بالاسلحة.

التطوير.. والثغرة

● قلت قبل ان تطوير الهجوم كان السبب فى الثغرة؟

●● الجمسى: تطوير الهجوم معناه الاستمرار وكان يوم ١٤ اكتوبر وقد خسرنا فى هذا اليوم كثيرا ولم ينجح التطوير وبناء عليه اخذوا المبادأة وبدأوا يستعدون لعمل الثغرة يوم ١٥ ليلا واستمروا ليلة ١٧/١٦ اكتوبر حتى نجحوا وليس هناك ارتباط بين الاثنين ولكن بالتبعية عندما خسرنا معركة ١٤ اكتوبر كان ذلك دافعا لهم لعمل الثغرة خصوصا ان كسينجر قال لهم : اعملوا شيئا ما يظهر على الساحة.. على الارض والواقع.. حتى نتفاوض من مركز مناسب والا فأنتم مهزومون تماما.. من اجل ذلك عملوا الجيب فى سوريا والثغرة عندنا.

ولقد قلت للجنرال ادان فى محادثات الكيلو ١٠١ سوف تنسحبون من الثغرة والا سنقوم بالحرب من جديد.. ولكنه قال: ان مائير موجودة فى امريكا حتى يحضر كيسنجر وهو الذى حل المشكلة لأننا فى محادثات الكيلو ١٠١ بقينا مدة شهرين متعثرين ولانعرف ان نحل المشكلة عندما حضر كيسنجر.. قابل السادات وفى اليوم التالى اعاد العلاقات بين مصر وامريكا وبعدها بيوم وقع الاتفاق ثم وقعنا نحن بعد يوم الاتفاق فى «الكيلو ١٠١».



كلمة السر

جبار

للجنرال ما كارثر احد القادة الامريكيين العظام فى الحرب العالمية الثانية عبارة مأثورة عنه تقول: «ان الجنرالات لا يموتون، ولكنهم يتوارون.. لأن اعمالهم العظيمة تعيش معهم وتتحدث عنهم وتلقى عليهم دائما الضوء.

والمشير محمد على فهمى احد ابطال اكتوبرالبارزين، واحد من هؤلاء فقد اسس قوات الدفاع الجوى المصرية، وعمل قائدا لها اثناء معارك الاستنزاف واكتوبر.. اشرف على بناء حائط الصواريخ المصرية على جبهة القناة، الذى اصاب طيران إسرائيل او ذراعها الطولى بالشلل فى حرب التحرير.

تولى رئاسة اركان حرب القوات المسلحة عام ١٩٧٥، ثم اختاره الرئيس الراحل انور السادات مستشارا عسكريا له عام ١٩٧٨.

قال عنه هوبز رئيس تحرير مجلة «اسبوع الطيران وتكنولوجيا الفضاء الامريكية انه مهندس معركة الدفاع الجوى فى حرب ١٩٧٣.

وصفته مجلة «ارميه» العسكرية الفرنسية بانه من ابرز الشخصيات العسكرية فى العالم.. وأحد كبار المتخصصين فى النواحى الفنية العسكرية.

كيف علم اللواء محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى بموعد الحرب؟!

يقول: فى احد ايام شهر يونيو عام ١٩٧٣، اتصل الرئيس السادات بالفريق اول احمد اسماعيل على وزير الحربية، وطلب منه ان يبلغ اللواء طيار حسنى مبارك قائد القوات الجوية واللواء محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى، بأنهما سيرافقان الرئيس فى جولة يقوم بها لليبيا وسوريا.

وفى اليوم التالى اقلعت بنا طائرة الرئيس، وجلست واللواء مبارك امامه، وطلب منى الرئيس السادات ان احدد له موقف قوات الدفاع الجوى، وهل هى جاهزة ام لا. وقلت للرئيس ان القوات مستعدة لتنفيذ المهام التى تكلف بها فى المعركة الهجومية.

ثم سألنى الرئيس- فى احدى لمساته الانسانية- عن زوجتى، وكان يعلم انها مريضة. لم

أشأ الاستطراد فى الكلام وسكت. فقال له اللواء مبارك انها متعبة جدا وتحتاج للعلاج وعلى الفور امر الرئيس السادات بسفرها للعلاج فورا وطلب منى ان اسافر معها لمدة ٣ ايام، ثم اعود بعد ذلك لأتفرغ لمهمتى. وعندما قلت له: لا داعى لسفرى، قال ٣ ايام ليست مشكلة.

ثم اطمأن الرئيس من اللواء مبارك على موقف القوات الجوية.. وقال لنا للمرة الاولى انه قرر دخول الحرب. وأضاف: ان امامنا شهرين او ٣ اشهر على الاكثر وندخل الحرب.

ولا مفر من ذلك. فيجب ان نحرك الموقف السياسى بعمل عسكرى ناجح.

ويضيف المشير فهمى قائلا:

بعد ان سمعت من الرئيس السادات قراره دخول الحرب.. عادت بى الذاكرة الى يوم ٢٣ يونيو عام ١٩٦٩، وبالتحديد فى الساعة الرابعة بعدالظهر.. فقد علمت حينذاك بصدور قرار جمهورى بتعيينى قائدا لقوات الدفاع الجوى.. وكان ذلك ايذانا بمولد القوة الرابعة فى القوات المسلحة المصرية بقائد وقيادة منفصلة.. قوة رابعة تقف فى شموخ الى جانب القوات الثلاث البرية والبحرية والجوية.. قوة عليها حماية المجال الجوى لمصر ضد اقوى قوة يمتلكها العدو وهى سلاحه الجوى.

قابلت الرئيس جمال عبدالناصر بعد تعيينى. وبلورلى صعوبة مسئوليتى.. ثم قال: انا اشفق عليك يا محمد من ضخامة المسئولية.

وخرجت من لقاء الرئيس عبدالناصر.. وأخذت اتطلع الى السماء.. وجدتها فسيحة مترامية الاطراف متسعة الابعاد.. فادركت مدى اتساع مسئوليتى.. لقد اصبحت مسئولا عن اكتشاف وتدمير اى طائرة معادية فى هذا المجال الجوى الفسيح، فى الوقت الذى كانت اسرائيل تتباهى بان لديها الذراع الطويلة التى تسيطر على سماء المنطقة على اتساعها.

ويستطرد المشير فهمى: كانت الفترة ما بين تكليف الرئيس عبدالناصر لى بالعمل قائدا للدفاع الجوى، وبين حديث الطائرة مع الرئيس السادات، ملحمة بطولية لرجال الدفاع الجوى. فقد بدأنا أولا باستيعاب دروس النكسة التى دخلنا فيها الحرب بأسلحة غير مفصلة للمهمة كما او نوعا، ثم اعداد الفرد معنويا وفنيا وجسمانيا وذهنيا للمعركة الهجومية.. معركة التحرير «واعادة تنظيم وتسليح القوات بحيث نضمن التخطيط الجيد ثم القيادة والسيطرة وادارة اعمال القتال على جميع المستويات بكفاءة عالية.

وكان الغرض منها هو تفويت الفرصة على العدو الذى كان يركز مجهوده على تحطيم الجبهة الداخلية وكسب المعركة بدون حرب، وكان الهدف الرئيسى للنشاط الجوى المعادى

هو اسقاط النظام فى مصر وليس الاستنزاف المضاد كما قال البعض.

وفى يوم ٢٦ مارس ١٩٧٠.. عقد الفريق اول محمد فوزى وزير الحربية اجتماعا، قرر فيه انشاء نظام دفاع جوى جديد فى منطقة الجيشين الثانى والثالث بالجبهة.. وفى يوم ١٥ مايو، تم اعداد خطة من ٣ مراحل.. لانشاء حائط الصواريخ ، تهدف المرحلة الاولى الى اقامة الحائط على مسافة ٥٠ كيلو مترا غرب القناة، ليمتد شرقا فى المرحلة الثانية ويصل الى مسافة ٣٠ كيلو مترا، ثم يتوغل فى المرحلة الثالثة الى مسافة ما بين ١٠ و ١٨ كيلو مترا من القناة، وهو ما يعنى ان حائط الصواريخ يلقى بظلاله على منطقة الجبهة بالكامل، بل يتعداها ببضعة كيلو مترات شرق القناة.



المشير محمد على فهمى

وفى يوم ٢٧ مايو بدأنا احتلال حائط الصواريخ بطريقة الزحف البطىء على الجبهة، ونجحنا فى الانتهاء من المرحلة الثالثة قبل منتصف ليلة ٧ أغسطس.. بعد ملحمة عرق وكفاح من الرجال.. ورغم محاولات العدو الشرسة للحيلولة دون ذلك.

وقمنا بعد ذلك بتطوير وتدعيم حائط الصواريخ، وزيادة مناعة التحصينات وأعمال الخداع والتمويه. واستمرت اعمال التطوير حتى اكتوبر ١٩٧٣.

ويروى المشير محمد على فهمى بعض الذكريات من حرب الاستنزاف ومرحلة اعداد القوات.

قال: فى الساعة السابعة والنصف من صباح أحد ايام صيف ٦٩ ، دق جرس التليفون امامى فى مركز قيادتى بغرفة العمليات الرئيسية للدفاع الجوى، ودار الحديث التالى:

– صباح الخير مين اللى بيتكلم.

× صباح النور انا محمد على فهمى.

– انا جمال يا محمد.

× جمال مين؟
– انا جمال عبدالناصر.
× تأمر سيادتك.
– أنتم بتزوروا الطائرات الاسرائيلية السيد البدوى؟!
× ازاى يا فندم؟
• ابلغونى الساعة ١,٣٠ صباحا بان طائرة معادية اخترقت المجال الجوى حتى وصلت طنطا، فلماذا لم يتم الاشتباك معها وتدميرها.

سكت برهة، ثم تذكرت على الفور انه كانت هناك طائرة مجهولة الجنسية دخلت مجالنا الجوى من بلطيم فى اتجاه القاهرة.. ولم يكن عليها اى بلاغ ضمن تحركات الطائرات «المتحابة» الصديقة– او المدنية، فتمت معاملتها على انها طائرة معادية، الى ان تم تمييزها فوق طنطا، وعرفنا انها طائرة ركاب مدنية جاءت فى غير موعدها. وتم انزال الطائرة فى مطار القاهرة والتحقيق مع قائدها وتوقيع غرامة مالية على شركة الطيران التى تملكها.. وقد قمت باخطار مكتب وزير الحربية فى تمام الرابعة صباحا بذلك.

فقام بدوره بإبلاغ مكتب الرئيس واستنتجت ان رئيس مكتب الرئيس للمعلومات لم يشأ ازعاج الرئيس فى ذلك الوقت المبكر من الفجر وإبلاغه بالواقعة. وأرجأ ذلك الى وقت مناسب وأوضحت للرئيس عبدالناصر الموضوع كما حدث؟

شكرا.. للنيوزويك!

ويتذكر المشير فهمى موقفا ساهم فى تأمين مواقع صواريخ قوات الدفاع الجوى. يقول: فى نهاية عام ١٩٦٩، كنت اقرأ آخر عدد لمجلة «نيوزويك» الامريكية، لفت نظرى موضوع يقول: انه بعشرة قروش مصرية يمكن للسائح الاجنبى فى مصر التعرف على مواقع صواريخ الدفاع الجوى حول القاهرة من منظار برج الجزيرة.

وما ان فرغت من قراءة الموضوع، حتى امسكت بقلمى وكتبت لوزير الحربية عنه، وطلبت وضع البرج ضمن المناطق المحظور ارتيادها الى ان تنتهى الحرب، وفعلا تم ذلك.

ساعة الصفر

ينتقل المشير فهمى بذاكرته الى ايام اكتوبر الخالدة.. قال: حدد الرئيس انور السادات مع الفريق اول احمد اسماعيل ساعة الصفر وكانت امامه عدة خيارات بشأن موعدها، وقبل المعركة بأيام، بدأت القوات المسلحة فى مشروع تكتيكى بجنود، ليكون ستارا لرفع استعداد القوات وتحريكها لمناطق الحشد لبدء العملية الهجومية.

وتركنا للقوات مظاريف مغلقة يفتحها قادة التشكيلات عندما تصلهم الكلمة الكودية

«جبار».

في صباح يوم ٦ اكتوبر، استيقظت مبكرا فى السابعة بمقر القيادة، وذهبت لممارسة رياضة التنس بملاعب القيادة لمدة ساعة. وصعدت الى غرفتى واستبدلت ملابسى، ثم دخلت غرفة عمليات الدفاع الجوى، وراجعت موقف المشروع التدريبى مع القوات، وكان برنامجى عاديا امام الجميع بالقيادة.

وفى الساعة العاشرة توجهت مع اللواء حسنى مبارك الى كوبرى القبة للقاء الفريق اول احمد اسماعيل القائد العام، الذى اطمأن على موقف القوات، ثم عدنا كل الى مركز قيادته. وفى تمام الواحدة والنصف اعطيت الكلمة الكودية «جبار» وقتها احسست ان «ورقة الاسئلة» وزعت وان الامتحان بدأ. كنت اشعر بالاطمئنان. لم تكن اول حرب اخوضها.. فقد شاركت فى كل معارك مصر منذ حرب ١٩٤٨.

ملحمة العبور

وبمجرد ان اعطيت الكلمة الكودية.. شرع قادة تشكيلات الدفاع الجوى فى اتخاذ الاجراءات التى طالما تدربوا عليها لتأمين هذا الحشد الهائل من القاذفات المصرية (٢٥٠ طائرة) من نيران وسائل دفاعنا الجوى. وفى الثانية و ٤ دقائق عبرت الطائرات فوق قناة السويس متجهة الى اهدافها المحددة. وبعدها بدقيقة هدر اكثر من ٤ آلاف مدفع على امتداد الجبهة لقصف خط بارليف بمعدل ٧٥ طلقة فى الثانية.. وفى تمام الثانية و٢٠ دقيقة بدأت الموجات الاولى من جنود المشاه تقتحم . قناة السويس من بورسعيد.. الى السويس.

ولم يطل الانتظار.. وجاء العدو فى التوقيت الذى انتظرته الخطة تماما، ففى الساعة الثانية و٤٠ دقيقة، اخذت البلاغات تتوالى من محطات الرادار ونقاط المراقبة على امتداد الجبهة تنذر باقتراب الطائرات المعادية.. وفجأة تمزق الصمت وانطلقت الصواريخ المضادة للطائرات، وخرجت الطلقات متتابعة من مواسير المدافع المضادة وتهاوت الطائرات ذات النجمة السداسية الزرقاء واحدة بعد الاخرى.

وفى حوالى الخامسة مساء.. التقطت اجهزتنا الخاصة اشارة لا سلكية مفتوحة تحمل اوامر من الجنرال بنيامين بيليد قائد القوات الجوية الاسرائيلية الى طياريه بتجنب الاقتراب من القناة لمسافة تقل عن ١٥ كيلو مترا.. هدأت المعركة فى السماء الى حين واستمرت قواتنا الباسلة تتدفق، وتكسب مع كل دقيقة أرضا.. بدأ الظلام يسدل استاره، وكان العدو قد فقد ما بين ١٦ الى ١٨ طائرة، وهو معدل مناسب.. ودعوت قادة الدفاع الجوى الى مؤتمر فى غرفة العمليات بعد ان توقف النشاط الجوى المعادى نتيجة خسائره.. كان تقديرى للموقف ان اوامر قائد القوات الجوية الاسرائيلية هى اجراء مؤقت

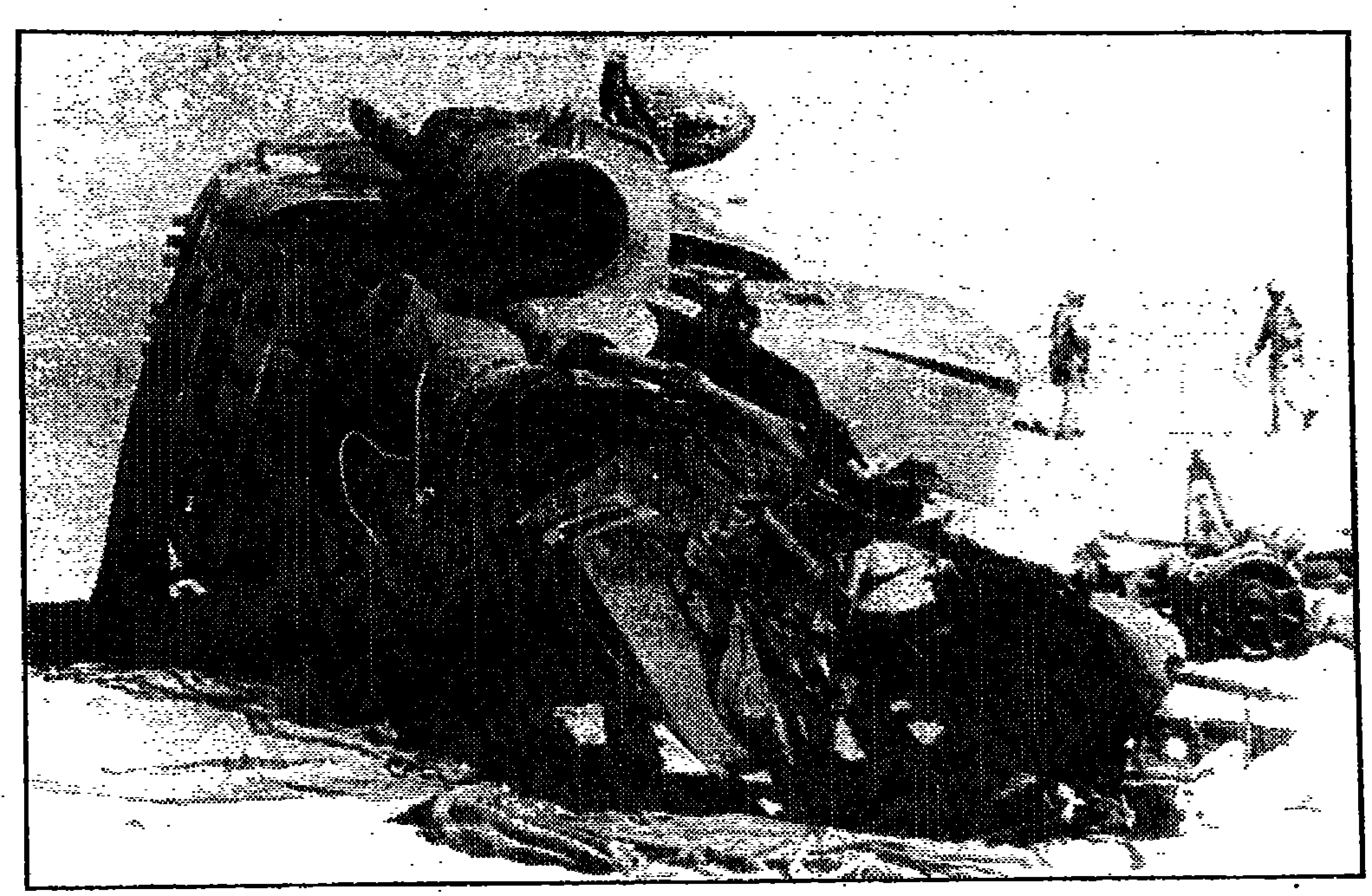
حتى يسترد توازنه ويعيد النظر فى خطته ويستكمل حشد الطيارين الممتازين. وقلت لهم انى اتوقع حجما اكبر ومستوى افضل من العدو الجوى اعتبارا من اول ضوء فى اليوم الثانى للقتال.

فى غرفة العمليات

ويستطرد المشير محمد على فهمى قائلا: اتذكر ان اول اتصال بين الرئيس انور السادات وبينى بعد بدء الحرب. كان صباح يوم ٨ اكتوبر فى غرفة عمليات القوات المسلحة.. وهذا اليوم ستمه اسرائيل فيما بعد بيوم «الاثنين الحزين» بعد ان فشلت هجماتها المضادة، وخسرت اللواء المدرع (١٩٠) الذى كان يقوده الكولونيل عساف ياجورى.

كان شعور الرئيس السادات فى ذلك الوقت هو الاطمئنان الكامل. وأعرب عن تقديره للنتائج التى حققها الدفاع الجوى ودوره فى تأمين عبور القوات والحاق خسائر بطائرات العدو.

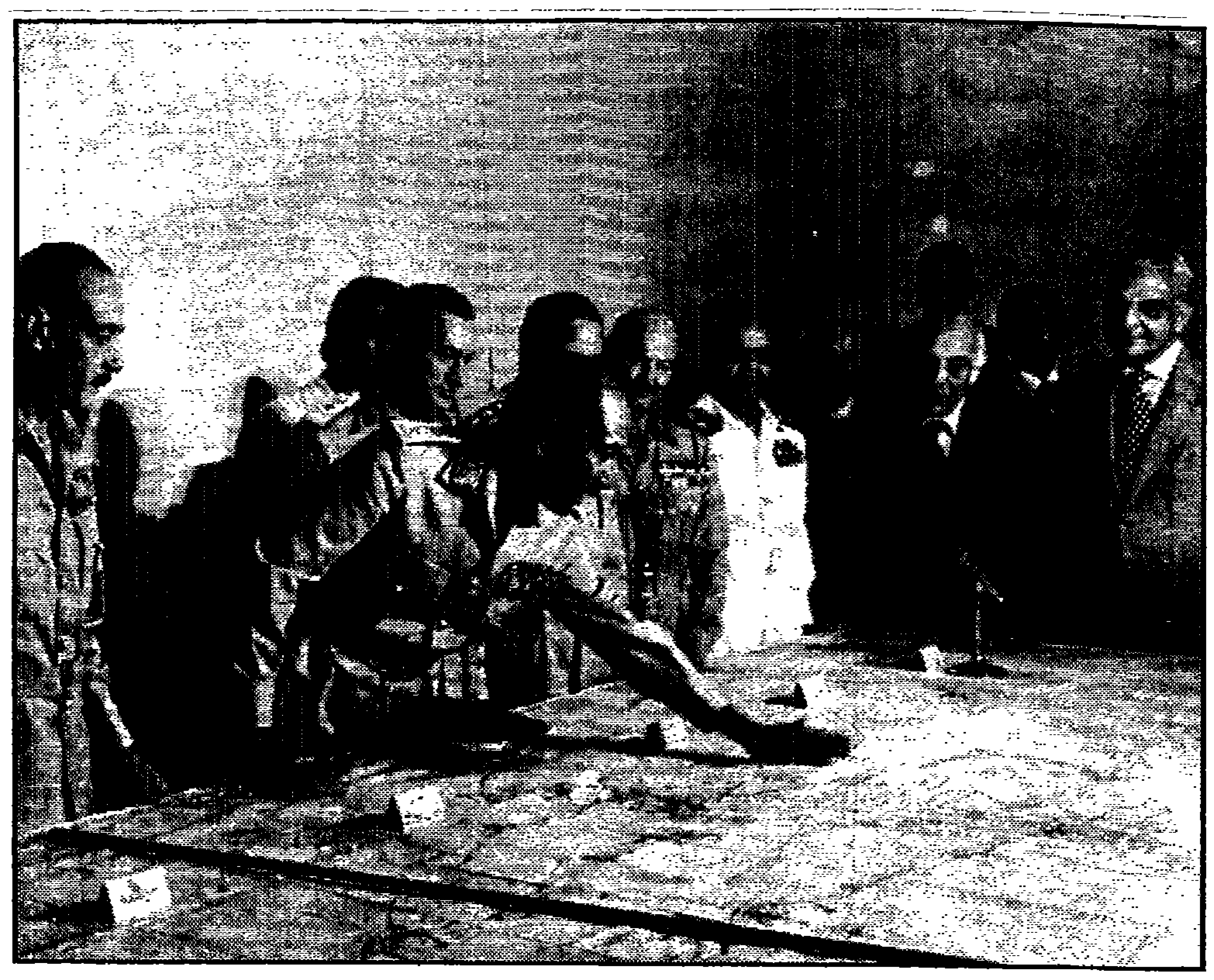
ويضيف المشير فهمى ان قواتنا حققت فى الأيام الثلاثة الاولى هدفها الذى رسمته قبل دخول الحرب، وهو التغلب على التفوق الاسرائيلى فى الجو وفى حرب المدرعات فى البر.. فقد بلغ معدل الخسائر الاسرائيلية دبابة كل ربع ساعة وطائرة كل ساعة.



صواريخ الدفاع الجوى المصرى بترت ذراع إسرائيل الطولى



داخل غرفة العمليات



الرئيس السادات مع قادة القوات المسلحة وكبار رجال الدولة فى غرفة العمليات بعد الحرب

الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الجمعة الخامس من اكتوبر عام ١٩٧٣.

سيارة جيب تخرج من مقر وزارة الحربية بكوبرى القبة. يستقلها الفريق اول احمد اسماعيل على القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية واللواء حسن الجريدلى سكرتير عام وزارة الحربية . كان الاثنان قد فرغا من اداء صلاة الجمعة فى ذلك اليوم من شهر رمضان.. واتجها بالسيارة الى مركز العمليات فى منطقة ما بالصحراء المحيطة بالقاهرة.

سلكت السيارة طريقها عبر شارع الخليفة المأمون.. كان الشارع ساكنا فى تلك الساعة. اعداد قليلة من السيارات تقطع الشارع.. وبعض المارة يسيرون فى هدوء.

اشار نحوهم الفريق اول احمد اسماعيل وهو يسأل اللواء الجريدلى: ترى ماذا سيقول عنا هؤلاء الناس اذا قلنا لهم ان الحرب غدا فى مثل هذا التوقيت؟!

ورد عليه اللواء الجريدلى قائلا: طبعا .لن يصدقنا احد.

●●●

وصلت السيارة الجيب الى مركز العمليات حيث كان يجرى تنفيذ المشروع الاستراتيجى

السنوى الذى تشترك فيه قيادات القوات المسلحة. بات القادة ليلتهم فى المركز.

واشرق صباح اليوم التالى.. يوم السادس من اكتوبر.. واصل القادة فى ساعات الصباح تنفيذ المشروع الاستراتيجى.

وفى تمام الساعة الثانية عشرة.. صدر الامر برفع خرائط المشروع الاستراتيجى ووضع خرائط العمليات اى الحرب.. واغلقت ابواب مركز العمليات.. ولم يعد بمقدور احد الدخول اليه.. سوى شخص واحد.. هو الرئيس انور السادات.

وبعد ساعة.. توجه الفريق اول احمد اسماعيل الى مقر رئيس الجمهورية بقصر الطاهرة ليصحبه من هناك الى مركز العمليات الرئيسى.

●●●

وفى الواحدة والنصف وصل القائد الاعلى والقائد العام الى مركز العلميات.. نزل الرئيس السادات مرتديا زيه العسكرى من السيارة.. ودخل غرفة العمليات.. وأخذ مكانه فى منتصف المنضدة الرئيسية بعد ان حيا افراد غرفة العمليات.

اراد السادات رفع الحرج عن الموجودين بغرفة العمليات.. طلب كوبا من الشاى الاخضر وكيس التوباكو.. وبدأ يدخن «البايب» فى هدوء ويرتشف من كوب الشاى.. ثم نظر الى من فى الغرفة وقال:

«انتم ما بتشربوش حاجة ليه يا ولاد؟» الافطار مباح فى رمضان.. واحنا داخلين على اوقات صعبة.

وبدأ السادات يتحدث الى من حوله بكلمات بسيطة هادئة كى يزيل بعض التوتر الذى كان سائدا بين ضباط غرفة العمليات الرئيسية.

اخذت الساعة تقترب من الثانية وانظار الكل معلقة بعقارب ساعة الحائط بالغرفة وسط سكون شامل.

دقت الساعة معلنة تمام الثانية.. اتجهت الانظار الى اللوحة الخاصة بالقوات الجوية الموضح بها القواعد الجوية المنتشرة فى انحاء الجمهورية.. وشرع ضباط الاتصال بالقوات الجوية فى تسجيل بداية انطلاق اسراب القوات الجوية من قواعدها.. اتجاه كل النقاط على اللوحة.. كان نحو الشرق الى قناة السويس.

وفى الساعة الثانية و٥ دقائق.. كانت جميع النقاط قد اصبحت فى خط واحد يعبر قناة السويس.. لتبدأ اعظم ملحمة جوية عزفتها ٢٢٠ طائرة.. انطلقت نحو الاهداف المحددة لها لتقصفها وتدمرها وتنفذ الضربة الجوية.

بدأ اتجاه النقاط فوق لوحة القوات الجوية نحو الغرب.. وقلوب الجميع فى غرفة

العمليات تدعو بالعودة السالمة.. واقتربت النقاط من اماكن قواعدها بالجمهورية.

وهنا.. قطع رنين التليفون هدوء المكان. اسرع اللواء حسن الجريدلي برفع السماعة، كان المتحدث هو اللواء طيار حسني مبارك قائد القوات الجوية. وجاء صوته يحمل البشرى. «نجحنا والحمد لله.. وخسائرنا طفيفة جدا». ناول اللواء الجريدلي السماعة الى الفريق اول احمد اسماعيل الذي تلقى «تمام» الضربة الجوية.. وانتقل التمام من القائد العام الى القائد الاعلى الذي انفرجت اساريره ونظر الى من فى الغرفة قائلا: «مبروك يا ولاد.. ربنا حينصرنا إن شاء الله».

سعادة.. بهجة.. فرحة لا توصف ارتسمت على كل الوجوه.. وانطلق اكثر من ضابط خارج الغرفة لاعلان النبأ السعيد الى باقى الضباط فى مركز العمليات.

●●●

اللواء ا.ح حسن الجريدلى

وتوالت البلاغات الى غرفة العمليات.. اللواء محمد سعيد الماحي مدير المدفعية يعلن بدء تمهيد المدفعية بأكثر من الفى مدفع وهاون اطلقت قذائفها على مواقع القوات الاسرائيلية شرق القناة.

ووصل اول بلاغ من الجيوش الميدانية ببدء نزول الموجات الاولى لاقتحام القناة من قوات الصاعقة والمشاه فى الف قارب مطاطي ليضع اكثر من ٨ آلاف جندى مصرى اقدامهم على الضفة الشرقية للقناة، ويتسلقوا الساتر الترابى، ويقتحموا الدفاعات الاسرائيلية.. بينما كان رجال المهندسين العسكريين يفتحون الثغرات فى الساتر الترابى ويقومون بتشغيل المعديات وإقامة الكبارى كى تعبر عليها المعدات الثقيلة.

وفى تمام الساعة الثانية والنصف.. جاء اغلى البلاغات برفع اول علم لمصر على الضفة الشرقية للقناة فى سيناء.. ورقصت قلوب كل من غرفة العمليات الرئيسية فرحا بهذا النبأ الذى كان حلما ظل الجميع داخل وخارج الغرفة وفى كل مكان على ارض مصر ينتظر تحقيقه اكثر من ست سنوات.

وبعد ١٦ دقيقة.. تلقت غرفة العمليات بلاغ سقوط اول نطقة حصينة فى خط بارليف.. للتتهاوى بعدها النقاط والحصون. وتتوالى بيانات نجاح القوات العابرة الى غرفة العلميات.. وفى الساعة السابعة والنصف كانت فرق المشاه الخمس قد اقتحمت قناة السويس على مواجهة طولها ١٧٠ كيلو مترا،واستولت على ١٥ نقطة قوية، واقامت رؤوس

كبارى بعمق من ٣ الى ٤ كيلو مترات شرق القناة.

وهنا قال الرئيس السادات للقادة والضباط فى غرفة العمليات: «خلاص ياولاد.. إسرائيل فقدت توازنها».

وفى حوالى الساعة الثامنة مساء.. وبعد ٦ ساعات من بدء الحرب.. غادر السادات مركز العمليات بعد ان اطمأن الى نجاح معركة العبور.. وتوجه الى مقره فى قصر الطاهرة.. لمقابلة السفير السوفيتى الذى ألح على طلب لقاء الرئيس.

●●●

تلك كانت ذكريات اللواء حسن الجريدلى سكرتير عام وزارة الحربية الذى عين رئيسا لهيئة عمليات القوات المسلحة فى نوفمبر ١٩٧٣. ذكريات عطرة عن وقائع امجد ايام مصر واكثرها خلودا.. يوم السادس من اكتوبر.. من داخل غرفة العمليات الرئيسية التى اديرت منها الحرب.

●●●

ويؤكد اللواء الجريدلى ان الاعداد لحرب اكتوبر بدأ مباشرة بعد حرب يونيو ١٩٦٧.. شمل الاعداد الدولة بالكامل. سياسيا واقتصاديا ومعنويا.. الشعب واجهزة الدولة. اما اعداد القوات المسلحة فقد شمل جميع الجوانب.

كان الاساس هو الناحية المعنوية.. باعادة الثقة الى الرجال فى قدراتهم واكتساب الرجال الثقة بالعمل وليس بالخطب والشعارات..فمعنويات الفرد ترتفع وثقته بنفسه تزداد عندما يعرف مهمته ويتدرب على ادائها.. بالصدق والثقة فى الله والقضية والقادة.. وقد اكتسب الجندى الثقة عندما تدرب مرات ومرات على العبور فى منطقة مشابهة للقناة اقيم عندها ساتر ترابى يماثل ذلك المقام شرق القناة.. كان الجندى يعرف انه بعد ان يتسلق الساتر حاملا سلاحه وذخائره وتعيينه لن يلتقط انفاسه.. بل سيقاتل من سيكون فى انتظاره.. هناك. وانه سيقتحم الدشم.. وبعد أن يستولى عليها سيجد هجمات مضادة بالدبابات وسيقاتلها بسلاحه المضاد لها.. وسيواجه بهجمات من الطيران المنخفض وسيتصدى لها بالصواريخ المحمولة على كتفه..

كل ذلك كان مدروسا.. وكان الجنود يتدربون على مواجهته تدريبا واقعيا.. وقد اثمرت سنوات حرب الاستنزاف وما صاحبها من عمليات عبور محدود فى تحقيق ما يسمى بـ «تطعيم الافراد بالمعركة».

واستعاد الضباط والقادة الثقة، عندما تركت لهم حرية التفكير والابداع فى كيفية تنفيذ المهمة، فكان القائد يتلقى المهمة.. وتترك له حرية التصرف فى تحديد اسلوب تنفيذها.. ثم

تتم مناقشته فى خطة التنفيذ وبعد اقرارها والموافقة عليها يصبح مسئولا مسئولية كاملة عن التنفيذ بالاسلوب الذى يراه،

●●●

ويضيف اللواء الجريدلى قائلا: ان الاعداد شمل ايضا التخطيط للعمليات والحجم اللازم لها وكيفية التعبئة والتسليح.. كما شمل تجهيز مسرح العمليات سواء المناطق الابتدائية للهجوم، ومرابض المدفعية والدفاع الجوى ودشم الطائرات والطرق والمدقات.. وقد انشأت القوات المسلحة بالجهبة طرقا بمجموع اطول الفى كيلو متر لتحرك القوات ، كما أنشأت ٢٠ مطارا جديدا ومواقع صواريخ الدفاع الجوى .. كذلك مناطق اسقاط الكبارى والمعدات ونقط الملاحظة ومراكز القيادات والسيطرة.

ويؤكد اللواء الجريدلى ان ذلك الاعداد لم يتم فى يوم وليلة.. بل استغرق ٦ سنوات. ولم تظهر خطة العمليات فجأة فى يوم السادس من اكتوبر.. وانما بدأ وضعها قبل ذلك بكثير.. واخذت الخطة، تتنامى وتتطور وتتسع اهدافها حسب تنامى قدرات القوات المسلحة. ويقول ان اختيار موعد العبور مجرد سطر واحد فى ملف التخطيط.. وقد توصلنا الى كل ذلك بعد دراسات مستفيضة وتحليل لعوامل كثيرة.





أسرار حرب المخابرات

بعد حرب اكتوبر «سألوا موشيه ديان» «وزير الدفاع الاسرائيلي» : كيف استطاعت مصر تحقيق كل هذا دون مساعدة اقمار صناعية من دولة عظمى؟.. اجابهم قائلا: لقد ملأت مصر سيناء برادارات بشرية لها عقول، وليست اجهزة صماء! كان ديان محقا. ولكنه قال نصف الحقيقة! نصف الحقيقة الذى اعترف به ديان هو ان مصر نجحت فى جمع المعلومات عن اوضاع القوات الاسرائيلية وتحصيناتها فى سيناء فاصبحت سيناء كتابا مفتوحا امام القوات المصرية. اما النصف الاخر الذى لم يقله.. ان مصر حققت نجاحها الاكبر عندما حجبت عن اسرائيل اى معلومات عن نواياها فى الهجوم وتوقيت حدوثه. فقد اندلعت المعارك فى توقيت فاجأ اسرائيل رغم شواهد عديدة كانت تقول ان الحرب آتية!.. كان ذلك بفضل خطة خداع مصرية محكمة.

فى صباح يوم خريفى معتدل من ايام شهر نوفمبر عام ١٩٧٢.. استدعى الفريق اول احمد اسماعيل على وزير الحربية. اللواء فؤاد نصار، وكلفه بتولى منصب مدير المخابرات الحربية..

كان اختياره لذلك المنصب الخطير مفاجأة كاملة للواء نصار، فهو لم يخدم من قبل كضابط مخابرات. فكر بسرعة، وطلب من الفريق اول احمد اسماعيل ٣ شهور مهلة لدراسة الوضع وتحديد موقفه من قبول المسئولية على ضوء تلك الدراسة.

فوجىء وزير الحربية برد اللواء نصار. وقال له: سأبلغ الرئيس السادات، ثم رفع سماعة التليفون واتصل بالرئيس وابلغه رد اللواء نصار على تكليفه بادارة المخابرات الحربية .. غضب السادات وقال للوزير: «هوه بيتشرط . اديهولى أكلمه».

بهدوء شرح اللواء فؤاد نصار موقفه للرئيس السادات. قال له: يافندم. مش انا لكن مصر هى اللى بتتشرط علينا. اما ان تكون او لاتكون واذا مسكت المخابرات وانهزمنا. حاضرب نفسى بالرصاص!

واخيرا.. وافق السادات على طلب اللواء نصار.

بعد ٣ شهور بالضبط اتصل به السادات. وقال له:

«ها.. ايه الموقف؟!» رد عليه قائلا: «ممكن يافندم بس عايز سنة علشان نكون جاهزين قال السادات بحسم: «امامك ٩ شهور فقط».. فرد اللواء نصار «اللى يخلص فى سنة. ممكن يخلص فى ٩ شهور».

.. وقد كان!

●●●

صلب عمل اى جهاز مخابرات فى الدنيا.. هو جمع معلومات عن العدو، وحرمانه من الحصول على معلومات عن الدولة.

مهمة اللواء فؤاد نصار ورجاله كانت غاية فى الصعوبة. ففى تلك الفترة كان وقف اطلاق النار قائما عقب انتهاء حرب الاستنزاف وبالتالى لم يكن ممكنا استخدام القوات المسلحة. كان البديل الوحيد المتاح هو استخدام العنصر البشرى بطريقة سرية.

●● كانت هناك المجموعة «٣٩ قتال» المكونة من شباب القوات المسلحة من الفدائيين المتطوعين وهى احدى مجموعات المخابرات المكلفة بتنفيذ عمليات فدائية. هذه المجموعة قامت باعمال بطولية منذ حرب يونيو ١٩٦٧ .. فحينما كانت قواتنا تتقهقر غربا، كان رجال هذه المجموعة يتقدمون شرقا. وكانت اولى مهامهم تدمير مخازن المهمات والذخائر والمعدات التى تركتها القوات المسلحة فى سيناء لحرمان العدو من الاستفادة منها. ومنذ ذلك الحين واصلت المجموعة عملها. دمرت ابار البترول التى استولت عليها اسرائيل.. اغارت على مواقع العدو فى الطور ورأس محمد ، قامت بعمليات ضد خط بارليف وحصلت على معلومات تفصيلية عنه.وكان من أصعب المهام التى انجزتها بنجاح، عندما ظهر نوع من الصواريخ غير معروف لنا على دشم خط بارليف وتمكنت بعض عناصر المجموعة من الحصول على صاروخ منها.

●● كانت هناك «منظمة سيناء» التى تشكلت من ابناء سيناء لتنفيذ مايطلب منهم من مهام.

●● كانت هناك ايضا عناصر الخدمة الخاصة، وهم افراد مدنيون وعسكريون متطوعون. يتم تدريبهم على اساليب العمل السرى فى منطقة مخصصة لذلك حيث تنقطع صلتهم بالعالم، ثم يرسلون بعد اتمام التدريب الى سيناء بمعاونة رجال «منظمة سيناء».. وقد ارسلت هذه العناصر ١٩٨٦ بلاغا منذ نوفمبر ١٩٧٢ وحتى انتهاء حرب اكتوبر شملت نتائج رصد جميع التحركات الاسرائيلية.

●●●

المعلومات التى وصلت الى المخابرات الحربية من المجموعة «٣٩ قتال» و«منظمة سيناء» وعناصر الخدمة الخاصة، اعطت صورة كاملة عن مسرح العمليات فى سيناء ومواقع القوات الاسرائيلية وتجهيزاتها.

ولكن .. كانت المعضلة الرئيسية كيف نمنع وصول معلومات الى اسرائيل عن قواتنا رغم ان تحركاتها غرب القناة، كانت مكشوفة امام اعين القوات الاسرائيلية الرابضة على الضفة الشرقية؟!

لم يكن ممكنا اخفاء تحركات القوات وحشودها، وكانت الوسيلة الوحيدة هى اخفاء نية الهجوم!



صدرت التعليمات بأن يبدأ التخطيط للحرب. بأقل عدد من الافراد، وألا يعرف كل فرد الا قدر مايخصه من واجبات، وان يكتب التعليمات بخط يده دون استخدام الآلة الكاتبة.

كان الاساس فى اخفاء نوايا الهجوم.. الحرص على ابقاء توقيت الحرب سرا دفينا .. إلغاء الحاجة الى اعمال التخطيط التفصيلى على كل المستويات.. وضع خطة بسيطة للحرب مبنية على ما تتدرب عليه القوات المسلحة منذ عام ١٩٧١ فى مناورات الخريف السنوية.


اللواء أ.ح فؤاد نصار

●●●

فى يوم ٢١ اغسطس من عام ١٩٧٣ .. عقد اجتماع سرى فى الاسكندرية بين القادة السوريين الذين وصلوا على باخرة وهم يرتدون ملابس مدنية، وبين القادة المصريين.. تم فى الاجتماع تحديد انسب موعدين لبدء الحرب. اما بين ٧ و١٠ سبتمبر او بين ٥ و١٠ اكتوبر. وكان القادة المصريون يفضلون الموعد الثانى لوجود عيد «كيبور اليهودى الذى يوافق يوم ٦ اكتوبر. وترك القادة للرئيسين السادات والاسد تحديد الموعد. واخطارهم به قبله بخمسة ايام..

وفى يوم ٢٧ اغسطس. سافر السادات سرا الى سوريا واجتمع بالاسد واتفق الرئيسان على يوم الهجوم. اختارا يوم ٦ اكتوبر. لم يبلغ الموعد الى قيادة القوات المسلحة فى البلدين الا فى يوم ٢٥ سبتمبر.

●●●

عندما علمت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية بموعد بدء الحرب .. حصل اللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية على تصديق بارسال عناصر من كتيبة استطلاع مؤخرة العدو الى سيناء.. تم انزال ٢٢ مجموعة كل منها يضم بين ٣ و٤ افراد الى سيناء بالقوارب.. وتوغلت المجموعات فى عمق سيناء فى سرية تامة مستخدمة الجمال وسيرا على الاقدام لمراقبة محاور التقدم وتقاطعات الطرق ومخازن الطوارىء.

كان الهدف من ذلك معرفة هل اكتشف العدو نوايانا فى الهجوم ام لا؟. فاذا عرف سوف يعلن التعبئة ويرسل قوات الاحتياط الى مخازن الطوارىء فى سيناء لاستلام الاسلحة والمعدات. وبالتالى سوف تكتشف عناصر الاستطلاع ذلك.

●●●

وبدأ تنفيذ خطة الخداع!

كان ضروريا لمفاجأة العدو وخداعه.. خداع الجيش المصرى نفسه قبل بدء الحرب!

كان السؤال: كيف يحتشد الجيش المصرى للحرب، دون ان يعرف ان هناك حربا؟!

وكانت الاجابة هى تنفيذ درس مستفاد من الاتحاد السوفيتى عندما غزا تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ . حيث اجرى مناورة وتحت ستارها . قام بالغزو.

وبالفعل. تم الاعلان عن قيام القوات المسلحة المصرية بمناورة عامة تجرى فى الفتره من ١ الى ٧ اكتوبر على غرار مناورات الخريف التى تقوم بها كل عام.. كان موضوع تلك المناورات السنوية، عبور قناة السويس واستعادة سيناء.. وكان يلزم لتنفيذها تحريك الكبارى والقوات تجاه الضفة الغربية للقناة..

ظن الاسرائيليون ان تلك المناورة كغيرها من المناورات السنوية المعتادة، وان تحريك الكبارى والقوات امر روتينى لتنفيذ المناورة، وساعد على ترسيخ هذا الظن كثرة الكلام فى مصر عن قيام حرب منذ الاعلان عن عام الحسم فى ١٩٧١ .. دون ان يندلع قتال وظن الافراد فى القوات المسلحة المصرية ان المناورة هى مجرد نشاط تدريبى أعتادوا القيام به سنويا!

وفى اطار خطة الخداع.. اعلن عن تنظيم رحلات للضباط لأداء فريضة الحج وتحديد يوم ٩ اكتوبر موعدا لتسجيل اسماء من يريد منهم السفر للحج. وتم فى يوم ٢٧ سبتمبر تعبئة ١٢٠ الفا من جنود الاحتياط لاجراء المناورة. وفى يوم٤ اكتوبر تم تسريح ٢٠ الفا منهم، واعلن عن تسريح الباقى تباعا.

ايضا.. فى يوم ٢ اكتوبر .. استدعى اللواء فؤاد نصار الجنرال جودسكى كبير ضباط الاتصال السوفييت وابلغه ان لديه معلومات بان اسرائيل تستعد للاغارة على القوات

المصرية غرب القناة وسأله: «هل تريدون اعطاءنا معلومات» ولم يرد الجنرال السوفييتى.. وبعد يومين استدعاه مرة اخرى وقال له : «لقد تأكدت معلوماتنا عن الغارة وسوف تسبقها ضربة جوية اسرائيلية» وطلب منه سرعة ابلاغه باى معلومات لديهم!

●●●

مضى كل شىء فى إطاره المرسوم. ولكن!

فى ليل ٤ اكتوبر .. بدأ الاتحاد السوفيتى فى ترحيل العائلات السوفيتية المقيمة بمصر وسوريا!

وفى الساعة الثانية من فجر يوم ٥ اكتوبر.. اتصل الجنرال ايلى زعيرا مدير المخابرات الحربية الاسرائيلية بمدير الموساد «المخابرات العامة الاسرائيلية» وابلغه بانه تلقى معلومات بان العائلات السوفيتية يتم ترحيلها من مصر وسوريا. فرد عليه مدير الموساد بأنه تلقى نفس المعلومات وانه على موعد مع «شخصية» للتأكد منها.

وعلى اثر هذه المعلومات.. عقد اجتماع عاجل فى اسرائيل سأل ديان وزير الدفاع الاسرائيلى الحاضرين عن ارائهم فى مسألة سحب العائلات السوفيتية وهل يعنى ذلك ان مصر ستشن حربا؟! . اختلفت الآراء وكان هناك رأى يقول ان السوفييت سحبوا عائلاتهم بسبب تصاعد خلافاتهم مع مصر.. ولكن رئى على سبيل الاحتياط اعلان التعبئة فى صفوف القوات الاسرائيلية.

وفى يوم ٥ اكتوبر. بدأ تدفق القوات الاسرائيلية الى سيناء.. وكانت عيون رجال الاستطلاع المصريين بالمرصاد..

تلقى اللواء فؤاد نصار معلومات عاجلة بان اسرائيل منعت الحركة على الجسور المفتوحة، وارسلت قوات من عناصر الاحتياط الى المليز وتمادا ورفح فى سيناء لاستلام اسلحتهم فسارع بابلاغ الفريق اول احمد اسماعيل والرئيس السادات بأهم معلومة تلقاها من عناصر الاستطلاع المصرية فى سيناء.. لقد اكتشفت اسرائيل نوايانا فى الهجوم واعلنت التعبئة.

كان رد فعل السادات ان قال: الحمد الله انهم علموا الآن فقط.

كان الوقت قد ازف .. ودارت العجلة. لم تتأكد اسرائيل من ان الحرب يوم ٦ اكتوبر، الا فجر نفس اليوم. وجاءتها المعلومات من مصدر عربى على «اعلى» مستوى! ولكنه ابلغها بان ساعة الصفر هى السادسة مساء يوم ٦ اكتوبر! وهكذا رغم «كل شىء» ظلت ساعة الصفر سرا، وفوجئت اسرائيل باندلاع الحرب فى موعد عبقرى لم تتوقعه.. هو الثانية من بعد الظهر.

امضى اللواء فؤاد نصار ليلة ٥، ٦ اكتوبر فى مركز القيادة الرئيسى للقوات المسلحة يعانق القلق. وفى الصباح ظل مع قادة القوات المسلحة فى انتظار ساعة الصفر. كانت ايدى الجميع على قلوبهم .. خشية ان تبادر اسرائيل بالقتال وصل الرئيس السادات فى الصباح الى مركز القيادة وظل يراجع الموقف مع القادة حتى جاءت ساعة الصفر. وانطلقت الطائرات المصرية لتنفذ مهامها بدقة وكفاءة وكانت اولى بشائر الخير.

توالت الانباء الطيبة وكان اسعدها - بلا شك - نجاح القوات المصرية فى عبور القناة وتحطيم خط برليف.

كان معنى نجاح العبور ان انابيب النابالم الاسرائيلية لم تعمل ولم تقذف حمم النار لتشعل صفحة القناة .

كانت لدى المخابرات الحربية معلومات كاملة عن خزانات النابالم التى اقامها الجيش الاسرائيلى فى خط بارليف ليصبها عبر خطوط المواسير فى مياه القناة حتى تتحول الى جحيم يحرق كل من يحلم بالعبور!.. كانت المعلومات تفصيلية تتضمن مواقع المواسير وفوهاتها.

وفى ليلة ٥و ٦ اكتوبر.. قامت مجموعة جسورة من القوات ا لخاصة التابعة لسلاح المهندسين بالغطس إلى الضفة الشرقية للقناة، وأزالت بعض التوصيلات وسدت البعض الآخر ورغم نجاح المجموعة فى مهمتها. لم يطمئن كبار قادة القوات المسلحة.

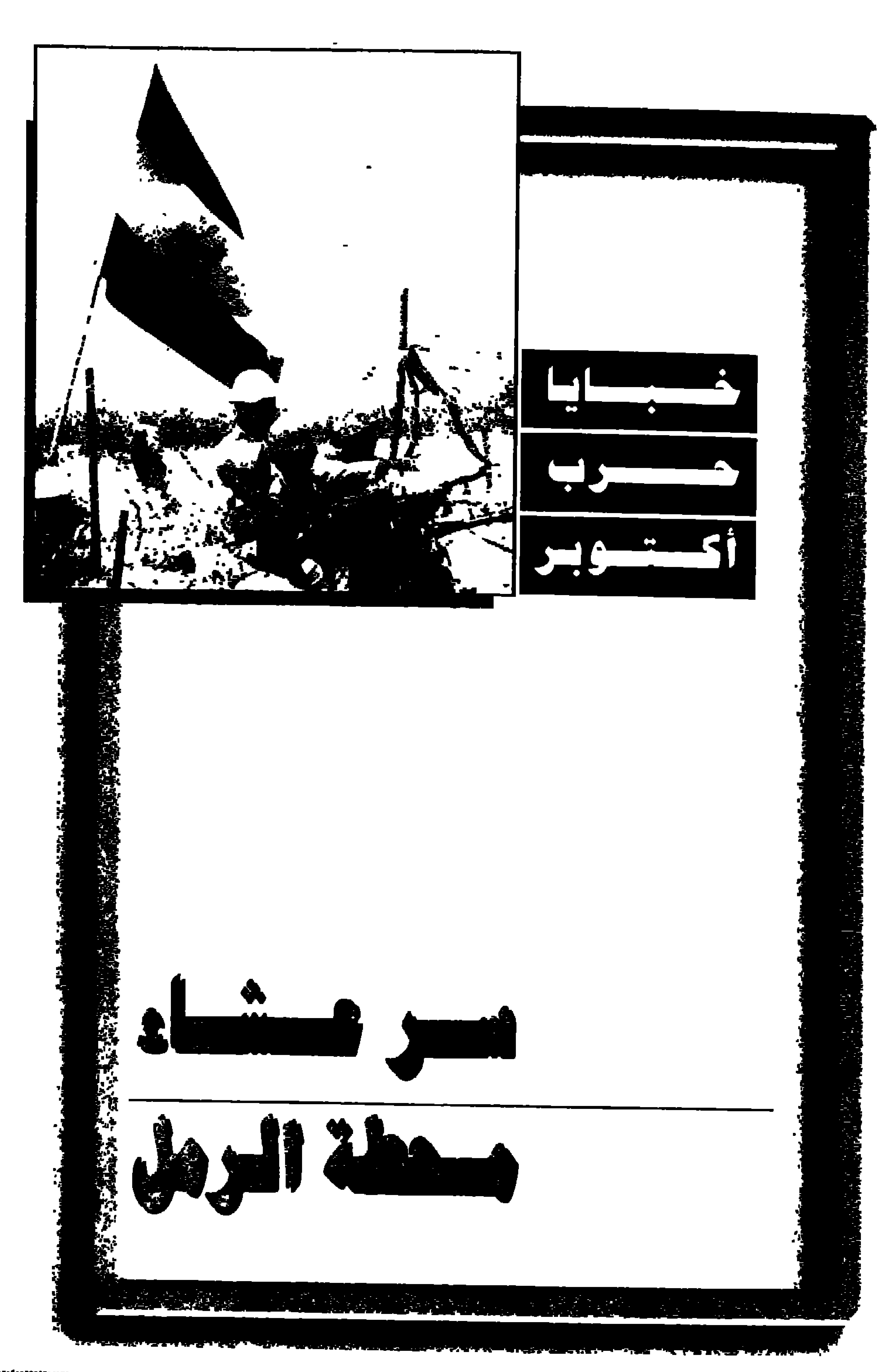
ظل القلق سائدا. حتى بددته انباء نجاح عملية العبور.

تساءل مدير المخابرات الحربية: كيف لم يكتشف الاسرائيليون اغلاق انابيب النابالم؟!.. وجاءته الاجابة بعد ساعات قليلة..

●●●

عند وصول اول مجموعة من الاسرى الاسرائيليين. اكتشف رجال المخابرات ا لحربية أن من بينهم احد المهندسين المسئولين عن خزانات النابالم طلب مدير المخابرات استدعاء الضابط المهندس الاسرائيلى .. وسأله ماذا حدث؟

اجاب الضابط الاسرائيلى: التعليمات لدينا تؤكد على ضرورة اختبار انابيب النابالم فجر كل يوم ولكن لأن يوم السادس من اكتوبر هو عيد «كيبور» لم تختبر الانابيب الا فى العاشرة صباحا.. وعندما فوجئوا بأنها لاتعمل، ارسلوا فى استدعائى وكنت فى اجازة بتل ابيب.. وعندما وصلت كانت الحرب قد قامت وسرعان ما وقعت فى الاسر.



سر عشاء محطة الرمل

الحرب غدا..

قالها اللواء بحرى فؤاد ذكرى قائد القوات البحرية بهدوئه المعتاد لقادة التشكيلات والقواعد البحرية ورؤساء شعب وافرع القيادة فى ختام حفل عشاء دعاهم اليه فى نادى الضباط بمحطة الرمل.

ألقى اللواء فؤاد ذكرى قنبلته، وقبل ان يسمع صدى دويها من مساعديه، أردف قائلا:

« ان شاء الله سوف تقوم القوات المسلحة بالعملية الهجومية الاستراتيجية غدا وسوف نحدد لكم ساعة الصفر باكر .جاء الوقت لكى نحرر اراضينا، وانتم مدربون تدريبا على مستوى راق الآن وعندكم الثقة فى انفسكم واسلحتكم.. وعلى بركة الله سنحقق النصر بفضله سبحانه وتعالى».

لم يترك اللواء ذكرى المجال لأى تعليقات.. ودخل فى صميم الموضوع قائلا: «ان جميع الوحدات البحرية منتشرة الان فى مواقعها بالبحر المتوسط والبحر الأحمر.. وهم ايضا فى انتظار ساعة الصفر»،

وكان قادة تلك الوحدات قد اخذوا مواقعهم فى البحرين المتوسط والاحمر فى اطار التدريب بالمشروع الاستراتيجى الذى كانت تنفذه القوات المسلحة.. واعطى لكل قائد مظروفا مغلقا لا يفتحه الا عند تلقيه اشارة كودية معينة.

●●●

غادر قادة القوات البحرية حفل العشاء وأذهانهم جميعا منصرفة إلى اليوم التالى.. يوم المعركة التى طال انتظارها كان من بين هؤلاء القادة العقيد بحرى اركان حرب يسرى قنديل رئيس استطلاع القوات البحرية..

نحى العقيد يسرى مشاعره الشخصية جانبا وركز فى موضوع واحد.. هو: كيف ينتقل من حالة التدريب فى المشروع الاستراتيجى، ويعد خطط الاستطلاع التى تخدم العمليات البحرية؟.. اخطر العقيد يسرى زملاءه فى فرع الاستطلاع، ولم ينم الجميع الا عندما

اطمأنوا الى تمام استعدادهم لتأدية دورهم فى توفير المعلومات اللازمة لتشكيلات القوات البحرية طبقا لخطة العمليات.

●●●

فى الصباح الباكر.. توجه العقيد يسرى قنديل الى مركز القيادة الرئيسى للقوات البحرية.. وعندما تجاوزت عقارب الساعة.. الثانية بخمس دقائق.

قال اللواء فؤاد ذكرى الآن تستعد قواتنا لعبور قناة السويس وسوف يسبق العبور ضربة جوية.

وأعطى قائد القوات البحرية اشارة الكود الى قادة التشكيلات البحرية فى البحرين الاحمر والمتوسط ليفتح كل منهم المظروف المغلق ليجد مهمة العمليات المخصصة لتشكيله ويبدأ فى تنفيذها وفق التوقيتات المحددة.

ويروى اللواء بحرى اركان حرب يسرى قنديل الخبير الاستراتيجى تفاصيل المهام التى نفذتها القوات البحرية ابتداء من ساعة الصفر وحتى انتهاء الحرب.

قال: فى اليوم الاول .. عاونت القوات البحرية الجيشين الثانى والثالث فى عمليات العبور بحماية اجنابهم المعرضة فى اتجاه البحر ضد ضربات القوات البحرية الاسرائيلية كما نفذت الوحدات التابعة لقاعدة بورسعيد البحرية عملية انزال بحرى تكتيكى خلف خطوط القوات الاسرائيلية شرق بور فؤاد لتسهيل مهمة القوات البرية فى التقدم شرقا على المحور الساحلى.

●●●

وفى البحر الاحمر.. وفور تلقى اشارة الكود، وفتح المظاريف المغلقة.. بدأت المدمرات فى تنفيذ الاوامر الصادرة لها من مواقعها شمال مضيق باب المندب لاعتراض السفن المتجهة عبر المضيق الى البحر الاحمر.. وكانت الاوامر هى تفتيش السفن المشتبه فى اتجاهها الى اسرائيل ومنعها، فاذا لم تمتثل يتم اطلاق طلقات مدفعية عليها حتى تطبق الاعلان الملاحى الذى اذاعته وزارة الخارجية المصرية والخاص بتحديد مناطق يحظر الملاحة فيها فى البحرين الاحمر والمتوسط اما الغواصات المصرية فكانت موجودة فى المنطقة بين جدة وبور سودان وكانت مكلفة بتدمير اى وحدة بحرية متجهة شمالا الى ميناء ايلات.. بينما كانت زوارق الصواريخ موجودة فى ميناء سفاجا لتوجيه قصفات صاروخية ضد ميناء شرم الشيخ والأهداف والدفعات البحرية هناك،، وكانت مهمة كاسحات الألغام والزوارق الهجومية السريعة هى تلغيم مدخل خليج السويس.

ويضيف اللواء يسرى قنديل ان كل هذه الوحدات نفذت مهامها على خير وجه.. فقد

اعترضت المدمرات ٢٠٠ سفينة تجارية فى منطقة باب المندب.. وقد روى الكاتب الاسرائيلى «زئيف تشيف» فى كتابه «زلزال فى اكتوبر» انه فور تلقى قاعدة ايلات بلاغا من ربان الناقلة، تم اخطار الحكومة الاسرائيلية المصغرة التى كانت مجتمعة برئاسة جولدا مائير وصدرت الاوامر بوقف ملاحة السفن الاسرائيلية نهائيا فى البحر الاحمر، وبذلك اغلق ميناء ايلات طوال فترة عمليات اكتوبر وحرمت اسرائيل من النقل البحرى بنسبة ١٠٠٪ فى البحر الاحمر.. وفى خلال الايام الاولى للحرب اصطدمت ناقلتا البترول «سيراس وحمولتها ٤٦ الف طن و«باترا» وحمولتها الفا طن بالالغام التى بثتها كاسحات الالغام المصرية فى خليج السويس وغرقت هاتان الناقلتان واكتمل حرمان إسرائيل من البترول الذى يصلها من الآبارالمصرية التى احتلتها فى خليج السويس بنسبة ١٠٠٪.

الفريق فؤاد ذكرى

●●●

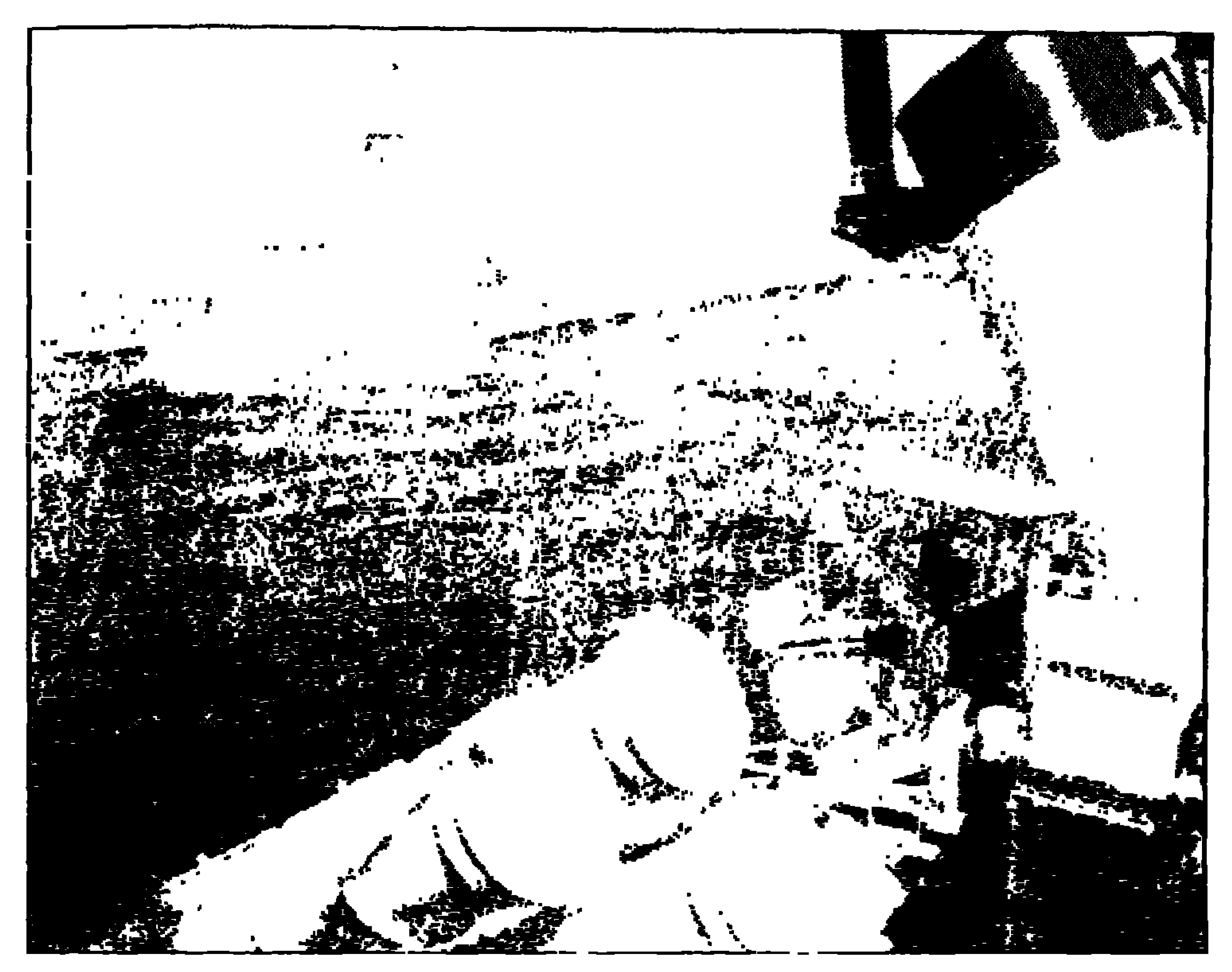
أما فى البحر المتوسط فكانت المدمرات المصرية تتمركز فى منطقة بين مالطا والموانىء الليبية للتعرض للنقل البحرى الاسرائيلى وكانت الغواصات منتشرة فى المنطقة ما بين جزيرة قبرص والساحل الشمالى لسيناء لمهاجمة السفن المتجهة الى الموانىء الاسرائيلية.

وفور بدء الحرب وصدور الاعلان الملاحى المصرى.. اصدرت إسرائيل تعليمات الى سفنها باللجوء الى موانىء اخرى بالبحر المتوسط وعدم التوجه للموانىء الاسرائيلية لحين اتضاح الموقف.. وبهذا انخفضت حركة النقل البحرى للموانىء الاسرائيلية بالبحر المتوسط الى نسبة ٢٠٪ من معدلها العادى حتى يوم ٢٥ اكتوبر.



اللواء أ.ح يسرى قنديل

ويقول اللواء يسرى قنديل ان الحرب شهدت



معارك بحرية تكتيكية بين الوحدات البحرية الاسرائيلية ممثلة فى الزوارق السريعة والطيران ضد الزوارق الهجومية المصرية السريعة .. قد اسفرت هذه المعارك عن الحاق خسائر بكلا الجانبين.. وكان من ابرز تلك المعارك.. الكمين البحرى الذى نصبته زوارق الصواريخ المصرية فى جزيرة نيلسون شمال الاسكندرية لوحدة بحرية إسرائيلية اخترقت المياه الاقليمية يوم ٢٢ اكتوبر ضمن تشكيل بحرى إسرائيلى وقد تم قصف هذه الوحدة واصابتها..

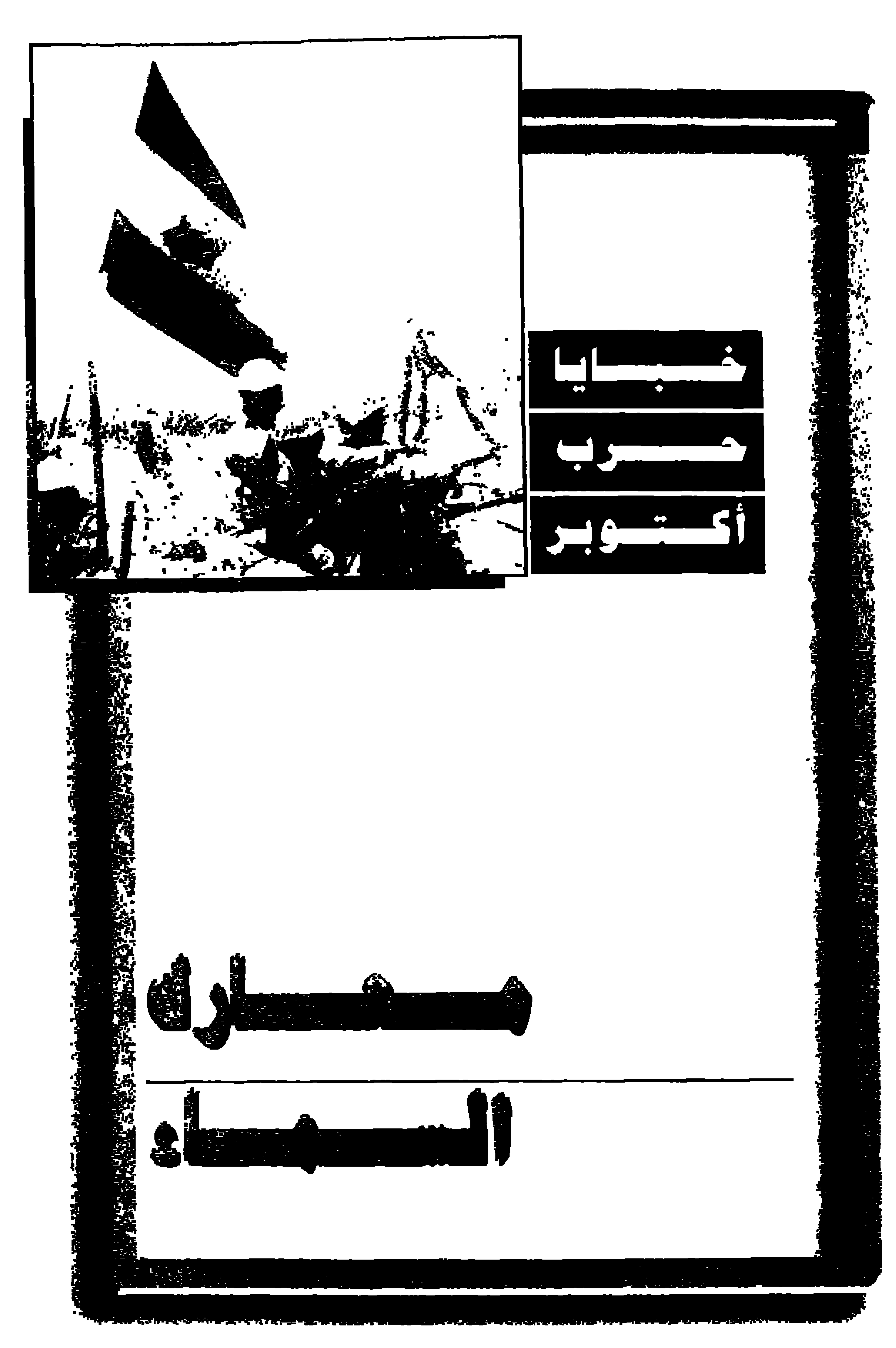
●●●

والى جانب هذا الدور. قامت البحرية المصرية بتأمين الموانىء الرئيسية طوال فترة الحرب ضد الغواصات والالغام والطيران والزوارق السريعة وفى اطار حماية ميناء الاسكندرية وحده قامت سفن مكافحة الغواصات بحوالى ٢٠٠ طلعة بحرية القت خلالها ٤٥٠ قذيفة مضادة للغواصات فى الاماكن المحتمل وجود الغواصات الاسرائيلية بها، وألقت زوارق تأمين الميناء ١٢٥ ألف عبوة ضد الضفادع البشرية ليلا ونهارا. اما طائرات الهليوكبتر المضادة للغواصات فقد نفذت ١٨٠ طلعة.وكان ذلك بهدف تأمين السفن التى تحمل كافة الاحتياجات اللازمة لادارة عجلة الحرب ولهذا لم يشعر الشعب بأى اختناق فى

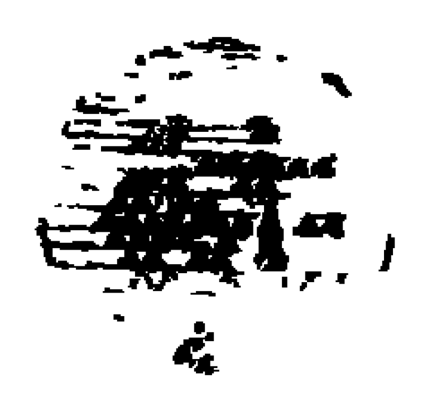
أى سلعة أساسية طوال ايام الحرب.

●●●

ويختتم اللواء يسرى قنديل شهادته عن دور القوات البحرية المصرية فى حرب اكتوبر قائلا: ان النتائج على المستوى الاستراتيجى كانت فى صالح الجانب المصرى.. فالحرب البحرية هى حرب اقتصاد.. وقد استطاعت البحرية المصرية حرمان اسرائيل من استخدام البحر الاحمر فى الملاحة ويضيف ان الدليل على فعالية دور البحرية المصرية ان اسرائيل حملت الدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكى مطلبين قبل بدء مفاوضات الكيلو (١٠١) بين مصر وإسرائيل لتنفيذهما فى مقابل الانسحاب من الثغرة. كان المطلب الثانى هو تبادل الاسرى اما المطلب الاول فهو فك حصار باب المندب الذى خنق الاقتصاد الاسرائيلى وألحق به أضرارا بالغة.



معارك السماء





أداء الطيارين المصريين نال تقدير كل الخبراء العسكريين

لم تبدأ ساعة الصفر لانتصارات اكتوبر بالضربة الجوية لكنها بدأت مع ٥ يونيو ٦٧، خاضت القوات الجوية من تلك اللحظة العديد من المعارك كان إكبرها هى اعادة البناء من مطارات وقواعد جوية ومعلومات وحصر للأخطاء ووضع الخطط واعداد الكوادر.

كانت دشم الطائرات ذات التصميم المصرى ولأول مرة فى تاريخ الطيران أولى خطوط التجهيز الهندسى ليأخذ الفكرة من بعدنا حلف الاطلنطى وباقى دول العالم . ويكشف اللواء طيار سيد كامل قائد لواء الاستطلاع الجوى فى اكتوبر ٧٣ تفاصيل خطة الاعداد .. يقول : لقد شملت الخطة تدريب الطيارين على القتال الجوى وعمليات الهجوم الارضى والتحركات والتكتيكات الجديدة التى يتم اختيارها وتطويرها بصفة مستمرة لتناسب المعركة الحديثة، وعلى الجانب الآخر كان تطوير الطائرات بما يناسب مهام المعركة فطائرات القوات الجوية فى ذلك الوقت كانت تفتقد المدى والتسليح فتم اضافة وزيادة سعة خزانات الوقود ، وادخال انواع جديدة من الصواريخ وقنابل الممرات ذات التصميم

والتصنيع المصرى مائة فى المائة.

كاميرات تصوير

ومن أجل الحصول على المعلومات زودت الطائرات بكاميرات ومعدات وأجهزة استطلاع.. وكانت طائراتنا تحصل على المعلومات من مواقع القوات الاسرائيلية وتكتشف التكتيكات ومناطق التمركز والانشاءات وتمكننا من تصوير سيناء بالكامل، وتحديد المواقع الرئيسية ومراكز القيادة.. وتم اعداد ماكيتات ومواقع هيكلية تطابق تماما ماهو موجود على أرض سيناء، وتدريب الافراد على ذلك؛.. وصلنا بالدقة الى الحصول على صور للمواقع بما فيها من اسلاك شائكة، وتوضيح كل جزء صغير، والتقاط صور لصاروخ يطلق من طائرات اسرائيلية.

ويقول اللواء طيار صلاح المناوى رئيس عمليات القوات الجوية خلال الاستنزاف واكتوبر: كانت عملية الانذار من الهجمات الجوية المعادية يشمل جزءا كبيرا من تفكيرنا.. ولم يكن الرادار يكفى للتحذير فاقمنا نقاط المراقبة بالنظر على طول الحدود المصرية.. وبها افراد مدربون على تحديد نوع الطائرات وسرعتها واتجاهها بمجرد النظر.

وكان الفكر الاساسى هو كيف يمكننا تصيد القوات الجوية الاسرائيلية والتى كانت تعتمد على تنفيذ ضربات عنيفة ومركزة، فوضعنا الخطط الكاملة لتقليل زمن الاقلاع بتشكيلات رباعية وثمانية.. وخلق تجانس كامل بين القادة والتدريب الجيد للطيارين.. وكان نتيجة لذلك هو صد الهجمات الجوية الاسرائيلية وتخلص المقاتلات المعادية من حمولتها بعيدا عن أهدافها.

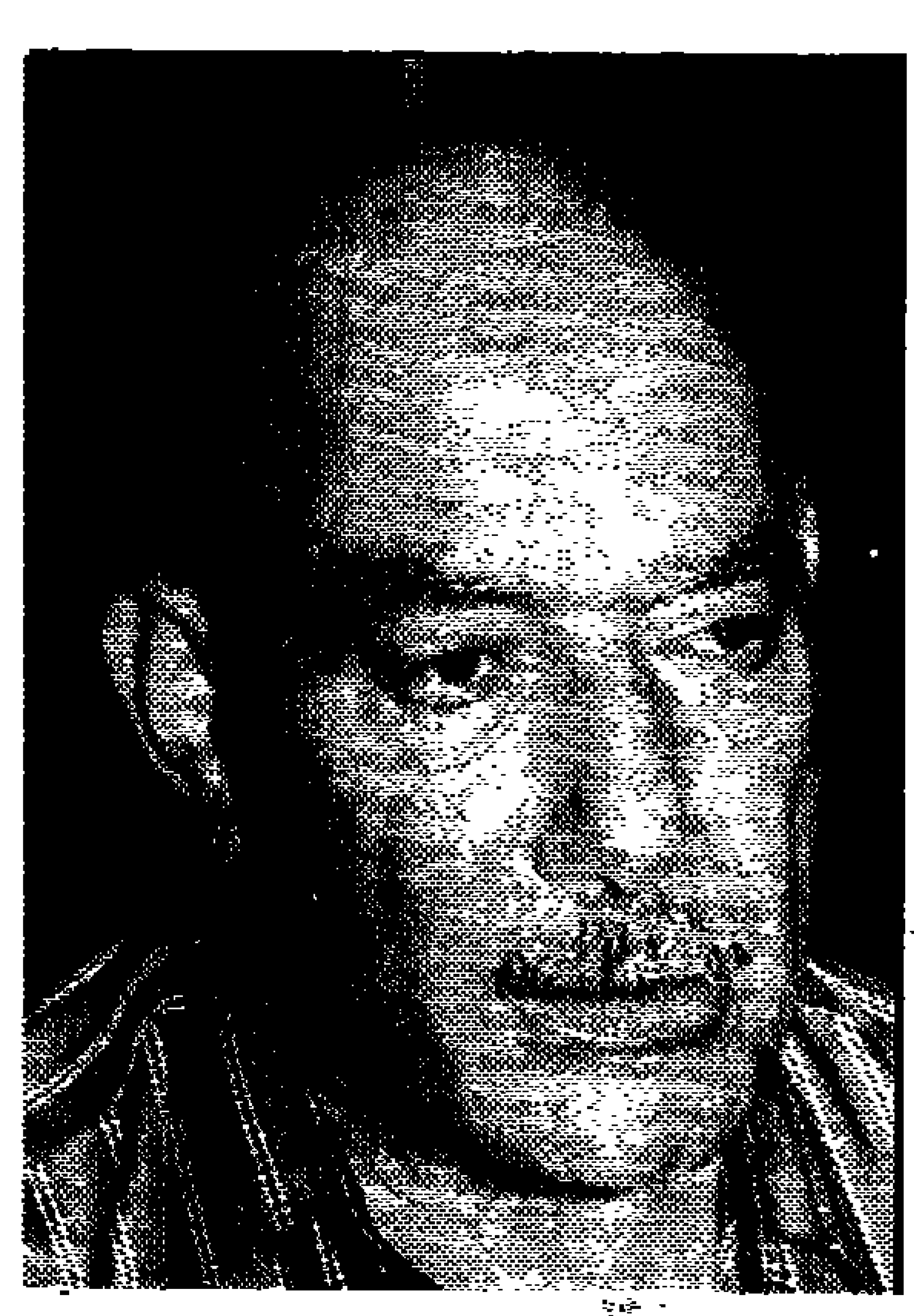
كل شيء مدروس

وخلال حرب الاستنزاف كانت الفرصة لدراسة كل طلعة طيران اسرائيلية وتحديد الفكر والاتجاهات التى يتخذونها للاقتراب من الاراضى المصرية.. وبعد بناء حائط الصواريخ لم يكن لاسرائيل مدخل سوى البحر.. وركزنا المقاتلات فى الاتجاهات المطلوبة ودربنا الموجهين الارضيين تدريبا جيدا واستعنا بالطيارين الذين لا تسمح ظروفهم الصحية بالطيران فى عمليات التوجيه.

ووضعنا لكل شيء خطوط الحماية له.. فالدشم داخلها الطائرة والطاقم والفنيون.. والبالون والاسلاك لحماية المطارات والممرات من الطيران المنخفض.. فلم نخسر طائرة على الارض طوال المعارك.. وايضا توقعنا محاولة ضرب أهداف مدنية فكانت الطائرات جاهزة للصد وأيضا وضعنا قاذفات القنابل خارج مدى الطيران المعادى وعلى استعداد لضربه واصابته إصابات بالغة.

الضربة الجوية

ومع الوصول بالقوات الجوية للمستوى المطلوب.. وتحديد كل شيء.. كانت الضربة الجوية.. مفتاح الحرب والتى حققتها اكثر من ٢٠٠ طائرة فى توافق زمنى ودقة لتدمير أهداف محددة.



اللواء طيار صلاح المناوى



اللواء طيار سيد كامل

اللواء صلاح المناوى يقول: فى الساعة الثانية يوم السادس من اكتوبر كان أول ما قلناه: ربنا اجعل من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فقد وصلنا بدرجة السرية فى العمليات الى اعطاء الاوامر شفوى بالخطاب المباشر بدون استخدام التليفون او اللاسلكى.. او حتى الشفرة.. وكانت التوقيتات معروفة فى حيز محدود حتى لا تتسرب . ولحق ذلك خطة خداع وتمويه من القائد بالرحلة المزعومة الى ليبيا.

والضربة الجوية لم يكن المقصود بها تجمعات جنود. لكن تدمير وسائل الدفاع الجوى والمطارات ووسائل الشوشرة والاعاقة الالكترونية وكل ما سيعيق تحركنا بعد ذلك.. وقد خططنا ونفذنا الضربة الجوية بدقة تامة، فالتشكيل كان مكونا من مقاتلات.. ومقاتلات قاذفة وتشكيلات تنظيف ميدان المعركة.. كل هؤلاء عبروا الخط الرادارى فى وقت واحد مما احدث تشتيتا للقوات الاسرائيلية، وكان دور المقاتلات هو ضرب اى طائرات اعتراضية.. حتى تتمكن المقاتلات القاذفة من تدمير اهدافها بحرية.. واثناء عمليات التخطيط كان القرار هو عدم اطلاق المدفعية الا بعد عودة الطائرات عابرة قناة السويس.. وكان ذلك سيعرض عمليات العبور لخطر شديد من احتياطى العدو القريب.. وقرر قائد القوات ان تتم العودة من ممرات لا تمثل اهمية مطلقة للتعامل بالمدفعية فى الدقائق الاولى.. هذا رغم صعوبة تنظيم عودة تشكيلات بهذا الحجم من ممرات ضعيفة

والارض تغلى بطلقات المدفعية.

ويقول اللواء طيار سيد كامل عبدالوهاب: ان الضربة الجوية الاولى قصد بها شل وتدمير الوحدات العسكرية والتى لها تأثير فى عملية العبور وقد احتاجت الى تدريب عال على مختلف انواع الطيران المنخفض والمرتفع . ويقول: ويجب ان تضع فى الاعتبار ان هناك اهدافا اساسية واخرى ثانوية .. واى هدف كبير كقاعدة جوية او مطار يحتوى على نقاط ضعف وبه ما يؤدى الى شلل الجهاز بالكامل وتدمير تلك النقاط من رادار ومعدات حيوية هى الاهداف الاساسية.. وهذا ما حدث فى الضربة.. اما مواقع الصواريخ وغير ذلك فهى اهداف ثانوية يسهل تدميرها بعد ذلك.

ثغرة الدفرسوار

ويقول اللواء صلاح المناوى : ان الحرب اظهرت الانسان المصرى وقدرته على التحمل.. فالفنيون لم يكن ينامون الليل إلا والطائرة جاهزة فى الصباح للخروج.. ونسوا الاكل والشرب.. وخلال الحرب ورغم الانشغال بعمليات الهجوم ومنها نقل الصاعقة بطائرات الهليكوبتر خلف الخطوط وفى العمق لتعطيل القوات المعادية وكان له تأثير فى استقرار رؤوس الكبارى.. لم ننس الدفاع ووضعنا كل الاحتمالات وتم صد مابين ٨٠ ، ٩٠٪ من الهجمات المعادية فى اليوم التالى لبدء المعركة واثبتنا اختفاء الذراع الطولى لإسرائيل.. حتى ثغرة الدفرسوار.. فقد تلقت القوات الاسرائيلية منذ بداية الثغرة ضربات متلاحقة كانت اكبر حجما من الضربة الاولى واستمرت اكثر من مرة واستخدم فيها العديد من الطائرات حتى طائرات الكلية الجوية وقد قرأت كتابا لقائد إسرائيلى قال فيه: «ان المدفعية وضرباتها كنا قد تعودنا عليها ولكن الضرب الجوى بهذا التركيز كان شيئا مفزعا».. وكانت أوامر قائد القوات الجوية «ألا تجعل القوات المعتدية تستريح ويجب مواصلة الضرب بلا توقف».. وكان الضرب احد الاسباب لخروج اسرائيل من الثغرة.

معركة المنصورة

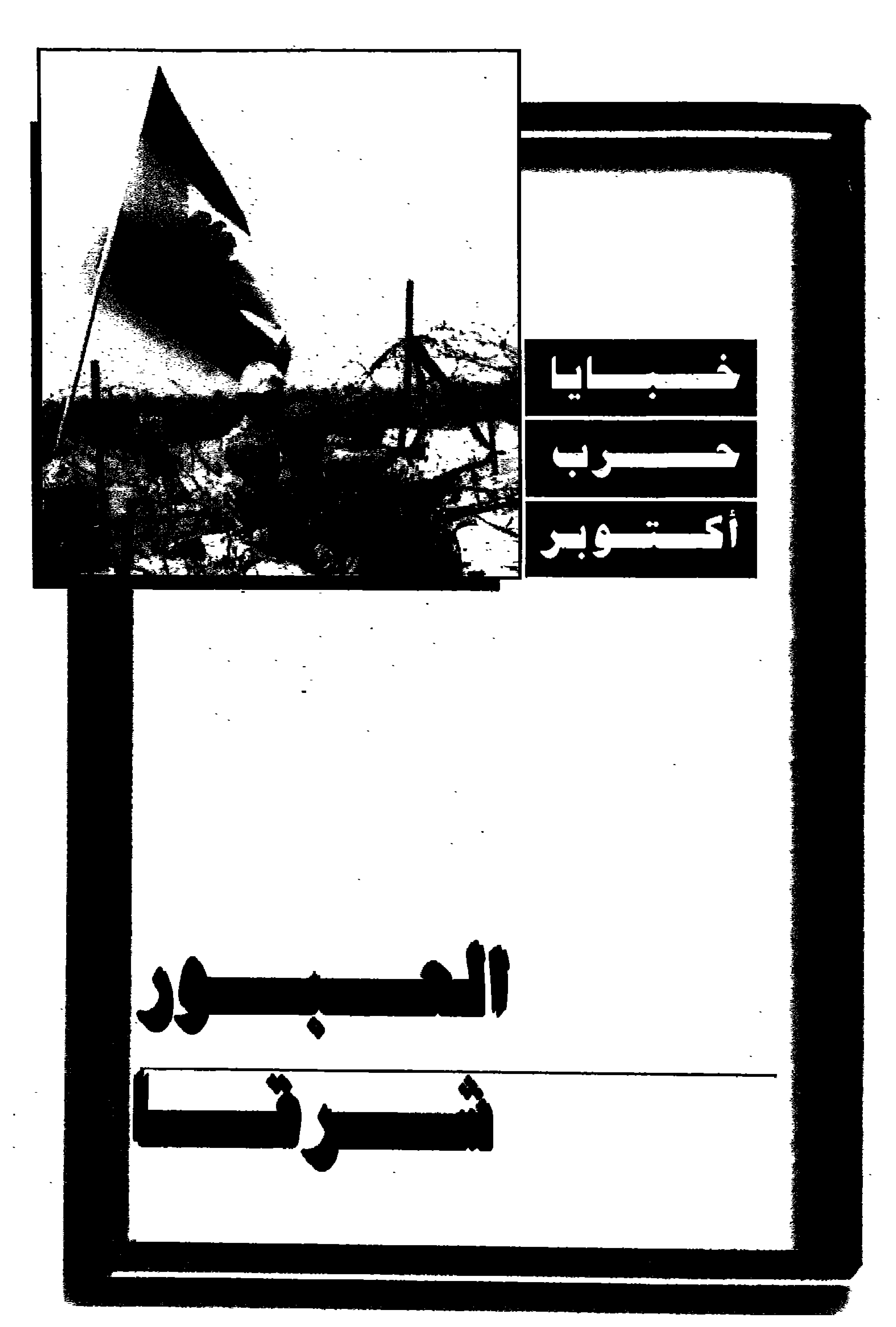
ويقول اللواء سيد كامل قائد لواء الاستطلاع ان اكتوبر ٧٣ هى الايمان الكامل بالمبادئ والحق المصرى والروح المعنوية العالية والاختيار الجيد للقادة وحسن التدريب والتخطيط ثم التنفيذ الجيد للمهام.. وان القوات الجوية فى الحرب كانت كما قالوا مفتاح النصر.. فكل شيء أعد له رد الفعل..ومواجهة كل الاعمال الاسرائيلية.. ويدلل على ذلك بمعركة ١٤ اكتوبر بين الفانتوم والميراج الاسرائيلى والسخوى وميج ١٧ المصرى.. ويضيف اللواء طيار صلاح المناوى.. ان تلك المعركة كانت من اهم المعارك.. وكان فى تخطيطنا ان العدو

سوف يرد بضربة لمطاراتنا الاساسية وان الانذار هو الاساس .. واى انذار بسيط يجب ان نعتبر انه ضربة جوية.. وقد لاحظ احد الموجهين فى هذا اليوم نقطة على الرادار تدل على طائرة تتجه من البحر.. وامر قائد اللواء باقلاع الطائرات من المطارات القريبة.. وكانت نتيجة لارتفاع الطائرات الاسرائيلية عن سطح البحر للدخول فى عملية الهجوم السبب فى ظهورها على الرادار . وخلال عمليات القتال بين تشكيلاتنا والطائرات المعادية.. ظهرت طائرات اخرى فوق البحر على مسافة مابين ٤٠ و ٣٠ كيلو مترا.. ولم تتدخل فى سير المعركة.. ووصل عدد الطائرات المتشابكة من الميراج والفانتوم الاسرائيلى حوالى ١٠٠ طائرة ومثلهم لدينا.. وعرفنا ان التشكيل الذى توقف فى البحر كان مقاتلات قاذفة عادت بعد ان فشلت المقاتلات الاسرائيلية فى ايجاد ثغرة فى تشكلينا المقاتل ونتيجة لذلك تقرر ان تكون عيدا للقوات الجوية.. بعد ان ادار اللواء الجوى ١٠٤ بالمنصورة تلك المعركة الجوية الضخمة.

هذا جزء قليل من بطولات وبطولات.. وتدريب وتخطيط جيد ومحكم للدخول فى حرب اكتوبر وتحقيق انتصارات مازالت تدرس فى المعاهد والكليات العسكرية فى العالم.



اعداد كبيرة من الطائرات فقدها العدو فى معارك ١٩٧٣



العبور شرقا



فرحة العبور على وجوه الرجال البواسل

فى الثانية وعشر دقائق اطلقت الاذاعة بيانها الاول بقيام العدو فى الواحدة
نصف من بعد الظهر بمهاجمة قواتنا بمنطقتى الزعفرانة والسخنة بخليج
سويس بواسطة عدة تكشيلات من القوات الجوية. واقتراب بعض زوارقه البحرية
ن الساحل الغربى للخليج وان قواتنا تقوم بالتصدى للقوات المغيرة. وتوالت بعد
ك البيانات لتعلن نجاح قواتنا فى اقتحام قناة السويس والاستيلاء على النقاط
حصينة ورفع العلم المصرى على الضفة الشرقية..

قبل ذلك بساعات.. كان موشيه ديان وزير الدفاع الاسرائيلى ومعه بعض القادة
سكريين فى زيارة الى القوات الاسرائيلية فى حصون خط بارليف للتهنئة بعيد
فران والاطمئنان على الموقف.. وشاهد ديان مجموعات الكسل المصرية وهى
ستلقى فى استرخاء وتلعب الكرة وتسبح فى مياه القناة. قبل ذلك بيوم اكد وزير
دفاع الاسرائيلى ورئيس اركانه الجنرال اليعازار لجولد مائير رئيسة الوزراء

استحالة عبور المصريين للقناة وان الجنرال حاييم بارليف اعد قنوات بترولية تعمل في دقائق فيتحول كل شبر في خط المواجهة الى كتلة حريق قاتلة حرارتها ٧٠٠ درجة مئوية. وقالوا ان قناتى السويس وبنما من اصعب المواقع المائية في العالم لطبيعة المياه والعمق والعرض.. وان اى تحرك عسكرى مصرى لن يتعدى ضربة جوية للمطارات ومراكز الاتصال والقيادة على الجبهة وأنهم بالحسابات الدقيقة يعرفون كيف يمكنهم افشال ذلك.

عجلة الحرب

وعلى الجانب المصرى كان كل شيء مختلفا.. عجلة الحرب تدور. قواتنا في نطاق الجيش الثانى والثالث وقطاع بورسعيد اتحدت مواقعها في مواجهة خط بارليف العجيب والذى مر بعدة مراحل انتهت بتحويل حصونه الى منشآت هندسية ضخمة مزودة بكل وسائل القتال والاقامة.. فبه ٢٢ موقعا دفاعيا.. تشمل ٣٦ نقطة حصينة تغطى كل الاتجاهات الصالحة للعبور ومجهزة بـ ٣٠٠ مربض نيران دبابات في الفواصل بينها. تبدأ كل نقطة من باطن الارض وتعلو حتى قمة الساتر الترابى.. محصنة بالاسمنت المسلح والكتل الخرسانية وقضبان السكك الحديدية والرمال والاتربة لتحقق وقاية ضد الاصابة المباشرة بمختلف انواع قذائف المدفعية وقنابل الطائرات التى تزيد على الف رطل. وزودت بمخزونات تحقق لها الاكتفاء الذاتى ١٥ يوما وصد كتيبة من المشاة لمدة اسبوع.. وبها ٢٦ موقعا للرشاشات و٢٤ ملجأ للافراد و٨ مواقع للاسلحة المضادة للدبابات والطائرات و٩ مواقع مدفعية هاون ودبابات و١٥ نقطة من الأسلاك الشائكة بها حقول الغام وشراك خداعية. يضاف الى ذلك خط التحصينات الثانى على مسافة ما بين ٥ و٨ كيلو مترات ويحتوى على ١١ موقعا محصنا ومراكز قيادة تحت الارض وقواعد صواريخ مضادة للطائرات ومواقع مدفعية ذاتية الحركة وبعيدة المدى.. وخصصت اسرائيل مايقرب من ٦٥٪ من قواتها للدفاع عن سيناء وتكونت من ٨ ألوية دبابات ومشاة ميكانيكى و٤ كتائب دبابات مستقلة و١٠ مدفعية هاون وواحدة استطلاع و٨ حرس حدود..

وتشكلت قوات المواجهة المصرية من الجيشين الثانى والثالث وقطاع بورسعيد مكونة من فرق ولواءات مشاة ومدرعات ومشاة ميكانيكى.

درجة الاستعداد

يكشف الفريق سعد مأمون قائد الجيش الثانى الميدانى في حرب اكتوبر تفاصيل واسرار ماجرى في المعارك.. يقول: لايمكننا الحديث عن يوم العبور العظيم دون الاشارة اولا الى اعمال التحضير للعبور. فقد رفعت درجة استعداد قواتنا المسلحة

الى الحالة الكاملة اعتبارا من الثانية صباح ١ اكتوبر.. مما يعنى احتلال جميع مراكز القيادة والسيطرة على مختلف المستويات وأعلن فى ذلك الوقت ان هذا لأغراض التدريب ولتنفيذ مشروع استراتيجى تعبوى.. واستمرت القوات البرية فى تنفيذ اجراءات التحضير للعملية الهجومية وإعادة التجميع والنسخ التعبوى ورفع كفاءتها التجهيز الهندسى لمسرح العمليات تحت ستار تحسين الدفاعات كما استمرت القوات الجوية والبحرية والدفاع الجوى فى تنفيذ مهامها الروتينية لحماية سماء ومياه مصر. وكان ابرزها فتح المدمرات والغواصات فى المناطق المحددة لها واتخاذها الاوضاع الاخيرة.


الفريق سعد مأمون

وتم تحديد السادسة من صباح ٥ أكتوبر وقت تمام الاستعداد لقواتنا المسلحة .. واصدرت القيادة العامة تعليماتها التى تحدد التوقيتات الرئيسية لبداية العملية الهجومية وارسالها فى سرية تامة.. كما اصدرت التعليمات بعدم السماح بدخول السفن التجارية المصرية والاجنبية الى موانىء ومراسى خليج السويس وتخفيض عدد السفن المدنية الموجودة. واصبح فى هذا التوقيت من المستحيل ايقاف آلة الحرب وقام المهندسون العسكريون بفتح الثغرات فى مواقعنا على الضفة الغربية لتسهيل تقدم قواتنا للاقتحام وقفل المياه عن ترعة السويس والاسماعيلية لعبور الدبابات والحاملات والعربات لترعة الحلوة عبر المخاضات والمعابر من عمق قواتنا الى الضفة الغربية واحتلت الصواريخ ارض- ارض التكتيكية والتعبوية مواقعها وعادت الدوريات التى تسللت فى هدوء لتلقى نظرة استكشاف اخيرة على النقط الحصينة وماوراءها من خط بارليف وايضا الجماعات الخاصة التى دفعت لاحباط تحضيرات العدو لاشعال سطح القناة والشركات المدنية تعمل بمعداتها الميكانيكية فى تعلية الساتر الترابى على الضفة الغربية وجماعات الكسل ترسم صورة الاسترخاء.

ولائم كيبور

ويضيف لم يكن بالضفة الشرقية غير بعض الجنود الاسرائيليين يلعبون الكرة والبعض الاخر يجهز ولائم يوم كيبور والمراقبون خلعوا الخوذات وجلسوا يلعنون ظروف الخدمة فى هذا المكان وفى الثانية وخمس دقائق انفجر البركان، عبرت

الطائرات خطوط المواجهة واتجهت الى اهدافها وعادت بعد ١٥ دقيقة ليبدأ فى نفس الوقت التمهيد النيرانى بواسطة اكثر من الفى مدفع ميداني لمدة ٥٣ دقيقة صبت خلالها على اهداف العدو ا كثر من ثلاثة آلاف طن ذخيرة. ومجموعة اخرى بالضرب المباشر المحكم التصويب على الدشم. وتحت ستر النيران القاتلة تحركت جماعات الصاعقة ومفارز اقتناص الدبابات لتعبر مياه القناة وتبث الالغام والشراك الخداعية فى مصاطب الدبابات المعادية وتقيم الكمائن على طرق اقتراب المدرعات الى القناة لشل حركتها ومنعها من التدخل فى عملية الاقتحام الوشيكة. وفى الثانية وعشرين دقيقة بدأت المرحلة الاولى للهجوم ثم توالت بعد ذلك الرحلات ليكون لنا بعد ٢٥ دقيقة من ساعة الصفر ٨ آلاف جندى على الضفة الشرقية كما عبرت الوحدات البر مائية من بحيرة التمساح والبحيرات المرة الصغرى.. وكان من اهم الاعمال الهجومية فتح الثغرات فى الساتر الترابى وتركيب المعديات لنقل المعدات الثقيلة. وكانت كل فترة تتطلب ازالة ١٥٠٠ متر مكعب من الرمال والاتربة اى ٤٢ ألفا و٥٠٠ حمولة لورى ٣ طن تحت نيران العدو الهائلة مما يحتاج نصف مليون رجل كل ساعة لرفعها بالطرق التقليدية . وعبرت المشاة فى قوارب مطاطية وخشبية وتسلقت الساتر الترابى وهى تحمل الاسلحة الخفيفة المضادة للدبابات من آر- بى- جيه ومدافع عديمة الارتداد بـ ١٠ ، ١١ وبعض انواع الصواريخ الخفيفة ستريللا والمالوتكا.. كما زودت بحبال وفى الثانية والنصف و٥ دقائق قامت طلائع القوات برفع الاعلام المصرية على الشاطىء الشرقى معلنة بدء تحرير الارض. وتدفقت الموجات بفاصل زمنى حوالى ١٥ دقيقة.. وتم تعبئة الذخيرة فى عربات يد يدوية وحتى الرابعة والنصف كانت ٨ موجات من المشاة قد عبرت وبدأنا انشاء رؤوس الكبارى وتوسيعها وخلال ساعتين ونصف الى ٤ ساعات تمكنت القوات من إنشاء رؤوس كبارى بعمق ٤ و٥ كيلو مترات مع صد الهجمات. وعن طريق المنازل السابق تجهيزها اقتربت العربات الضخمة التى تحمل مهمات الكبارى لساحات الاسقاط ليتم عمليات التركيب خلال ساعتين من بدء العبور وبحلول الثامنة من صباح ٧ اكتوبر كانت جميع المعابر التى اقامها المهندسون قد عبر عليها ضباط وجنود الجيشين ومختلف انواع المركبات فى رقم قياسى لم تحققه اية عملية عبور فى تاريخ البشرية.

توقيت الحرب

وأسأل الفريق سعد مأمون عن شعوره فى بداية الحرب وهو يقود ٥ فرق.. فيقول كان شعورا يحتاج الى دعم نفسى.. فقوات المشاة تعبر وسط دبابات.. كنا

متصورين ان العدو سيقوم بضربة مضادة ضدنا قبل الهجوم سنخسر فيها نصف المعركة ولأخطاء غير معقولة منه وكفاءة منا فى تحقيق المفاجأة على جميع المستويات الاستراتيجى والتعبوى والتكنيكى لم يفهم مطلقا حتى الحرب وفى الوقت نفسه كنا متأكدين من النجاح لأننا دربنا قواتنا تدريبا لم نكن نتخيله اقمنا حصونا مثل ماهو موجود فى البر الغربى وشرحنا كل شىء بالتفصيل والقوات عبرت ساترا ترابيا مطابقا تماما للساتر الاسرائيلى.. وعملنا تجارب فتح الثغرات بالمتفجرات امام اسرائيل وبالمياه فى اماكن لايراها العدو.. ووصلنا بالمقاتل الى كيف يكون الفرد باسلحته قصيرة المدى من آر- بى - جيه وب ١٠ و١١٢ و٢ صاروخ مالتوكا فى مواجهة دبابة مداها ٣ آلاف متر.. والمدهش اننا عملنا الثغرات وأقمنا الكبارى من ٦ الى ٨ ساعات وكان تقديرنا من ١٢ الى ١٤ ساعة.

● متى عرفت بتوقيت الحرب؟

●● عرفت به قبل اكتوبر بشهر. وقررنا الا يعرفه احد الا فى توقيتات متأخرة لكتمان السرية.. وحددنا لقادة الفرق قبل الميعاد بخمسة ايام. وقادة اللواءات اربعة .. وتدريجا حتى تصل لقادة الفصائل فى نفس اليوم صباحا.. وكل هذا تحت عنوان المشروع التدريبى. ورغم ان الجيش الثانى والثالث يضمان عددا كبيرا من المقاتلين فلم يكن بيننا اى جاسوس..

● متى وصل اليك أول بلاغ؟

كان اول بلاغ فى الثانية والنصف تقريبا من اللواء ١٦ بانه استولى على حصن فى قطاع جنوب القنطرة وسعدت بذلك تماما.. وفى الثامنة مساء. وجدت العميد حسن ابوسعدة قائد الفرقة الثانية يتحدث لى بان كتيبة دبابات اسرائيلية تقترب من قواته.. وليس معه اى دبابات لصدها.. فطلبت منه مهلة ٥ دقائق لتكون اول دبابة فى قطاعه قد عبرت.. قال «ينصر دينك» وبعد ساعة اتصل بى ليخبرنى بتدمير الكتيبة المعادية بعد مفاجأة العدو بمهاجمة دباباتنا. وكان من اصعب المواقف تدمير ٤٥٪ من المعديات والكبارى فى القنطرة بعد مهاجمتنا من ٨ دبابات اسرائيلية واستطعنا امتلاك زمام الامور واصلاح كل شىء.

منديل الجندى

● كيف خططتم لمواجهة هجوم العدو بدباباته على افراد المشاة باسلحتهم قصيرة المدى؟

لقد عملنا حساب كل شيء.. فمثلا اذا قلنا ان القوات الاسرائيلية مهاجمة بعشر دبابات على مسافة ١٠ كيلو مترات. نبدأ بقصفة من نيران المدفعية.. ينتج عنها تعطيل دبابتين مثلا. فى الطريق لدينا مقارز متقدمة ومصاطب الدبابات التى يصل مداها الى ٣٠٠٠ متر وبالصواريخ تدمر جزءا آخر.. واذا استمرت فى السير تصل الى مدى القوات التى عبرت وتحمل الاسلحة المضادة قصيرة المدى من آر- بى- جيه بمدى ١٥٠ مترا. وب ١٠ ، ٤٠٠ متر وب ١١ ، ٦٠٠ متر. متدمر عدد من المتبقى.. وفى حالة وصول دبابة او اثنتين يكون فى انتظارها فرد المشاة الذى يتسلقها ويغطى ميكروسكوب الرؤية.. بمنديل القماش الخاص به يبلله بالمياه ويضعه فى الشكمان فتتوقف عن العمل وفى نهاية كل الخطوط تدمر الدبابات العشرة.



سقوط المواقع الحصينة



حصون العدو استسلمت أمام بطولة المصريين

لم يكن اقتحام قناة السويس وتحقيق ملحمة اكتوبر بالامر السهل.. تحديات كثيرة واجهت ابطالنا البواسل على البر الشرقى للقناة من ساتر ترابى ونقاط حصينة وقوية.

على مدى سنوات كان التخطيط والتدريب والاستطلاع ووضع الخطط والحلول والنظرة المستقبلية والبدائل للقضاء على اسطورة الجيش الذى لا يقهر.

الفريق عبدالمنعم واصل قائد الجيش الثالث فى حرب أكتوبر يكشف خفايا وأسرار معركة العبور فى قطاع الجيش..

يقول الفريق عبدالمنعم واصل: بعد حرب ٦٧ احتلت إسرائيل الضفة الشرقية من السويس وحتى بورسعيد.. وكانت قواتنا بالضفة الغربية للقناة.. لجأت كل قوة من القوتين الى تعزيز مواقعها واقامة ساتر ترابى.. وخلال مرحلة الاستنزاف كانت الاوامر لقواتنا المسلحة هى تدمير الخط الدفاعى على الضفة الشرقية باسلحته.. ونفذ الجيش الثانى والثالث فى الوقت المحدد مهامهما مما كبد الجانب الاسرائيلى خسائر كبيرة فى المواقع والعتاد.. ويقول الفريق عبدالمنعم واصل ان الاسرائيليين رحبوا ترحيبا شديدا بمبادرة روجرز سنة ١٩٧٠. لأنهم لا يجيدون الدفاع الثابت وفكروا فى أن يكون دفاعهم متحركا مما يعطيهم ميزة توفير القوات وفرصة تجهيز مواقع

فى العمق.. وتقليل ذيله الادارى واقامة ارض قتل فى حالة نجاح قواتنا فى اختراق الحد الاساسى لقواته.. بالاضافة الى حصر العملية فى جزء معين لتحقيق السيادة الجوية وتوفير عناصر الاستطلاع لمعرفة اتجاهات عبور القوات وسهولة التعامل معها.

ويضيف كانت هذه هى الفكرة والعقيدة القتالية للجانب المضاد ومن اول الهدنة عمل على انشاء هذا الخط والذى لم يسبق له مثيل فى الحروب العسكرية السابقة.

ولكى نتصور التحديات التى واجهت قواتنا المسلحة.. فالشكل العام للضفة الشرقية كان ثلاثيا: مانعا مائيا.. نقاطا قوية على المحاور الرئيسية عبارة عن دشم خرسانية وفوقها قضبان السكك الحديدية طوليا وعرضيا ومن طبقات من الارصفة ومثلها من السلك الصلب وطبقة خرسانية اخرى.. كل ذلك للوقاية من ضربات الطيران.. وكانت تلك النقاط تتحمل قنابل حتى الف رطل.. ولم تكن تلك النقاط فردية.. ففى منطقة الشط ثلاث نقاط قوية .. وفى الشمال اخرى فى كبريت خاصة فى الجيوب بالجباسات وفى عيون موسى وسدر حطان والبحر الاحمر.. وكل نقطة تعاون الاخرى.

مواقع دفاعية

بالنيران وبعد تلك النقاط اقام مواقع دفاعية من دشم ومصاطب دبابات ورشاشات وهاونات.. واحاط كل ذلك بالسلك الشائك. وحقول الالغام ضد الدبابات والافراد والشراك الخداعية.. وترك المدخل لها من الخلف. ويقود كل ذلك مركز قيادة تحت الارض على بعد ٩ كيلو مترات من شاطىء القناة.

وامام الجيش الثالث كانت النقاط القوية الحصينة رأس مسلة وعيون موسى والجباسات والشط وكبريت.. ١٠ نقاط حصينة والساتر الترابى والذى يصل ارتفاعه مابين ١٧ و٢٢ مترا ويميل بزاوية ٤٥ درجة.. ويسبق ذلك مانع مائى عرضه ٢٠٠ متر وعمقه ١٧.. ومدخله الجنوبى يختلف عن باقى القناة فى المد والجزر والذى يصل الفاصل بينهما مترين وسرعة تيار ٩٠ مترا فى الدقيقة.. بالاضافة الى طبيعة الارض الصلبة والتى تتحول مع المياه الى طين لزج مما يزيد من صعوبة القتال.. اما الشط الغربى والشرقى لقناة السويس فكانت هناك ستائر حديدية ودبش لمنع عمليات النحر..

كان كل ذلك يمثل تحديات للعبور وبعزيمة الرجال والتدريب الشاق المتواصل والايمان بالروح القتالية وحب الوطن والتخطيط الجيد والنظرة المستقبلية ووضع الحلول المسبقة أمكن التغلب على جميع المصاعب التى قابلتنا اثناء اقتحام القناة.

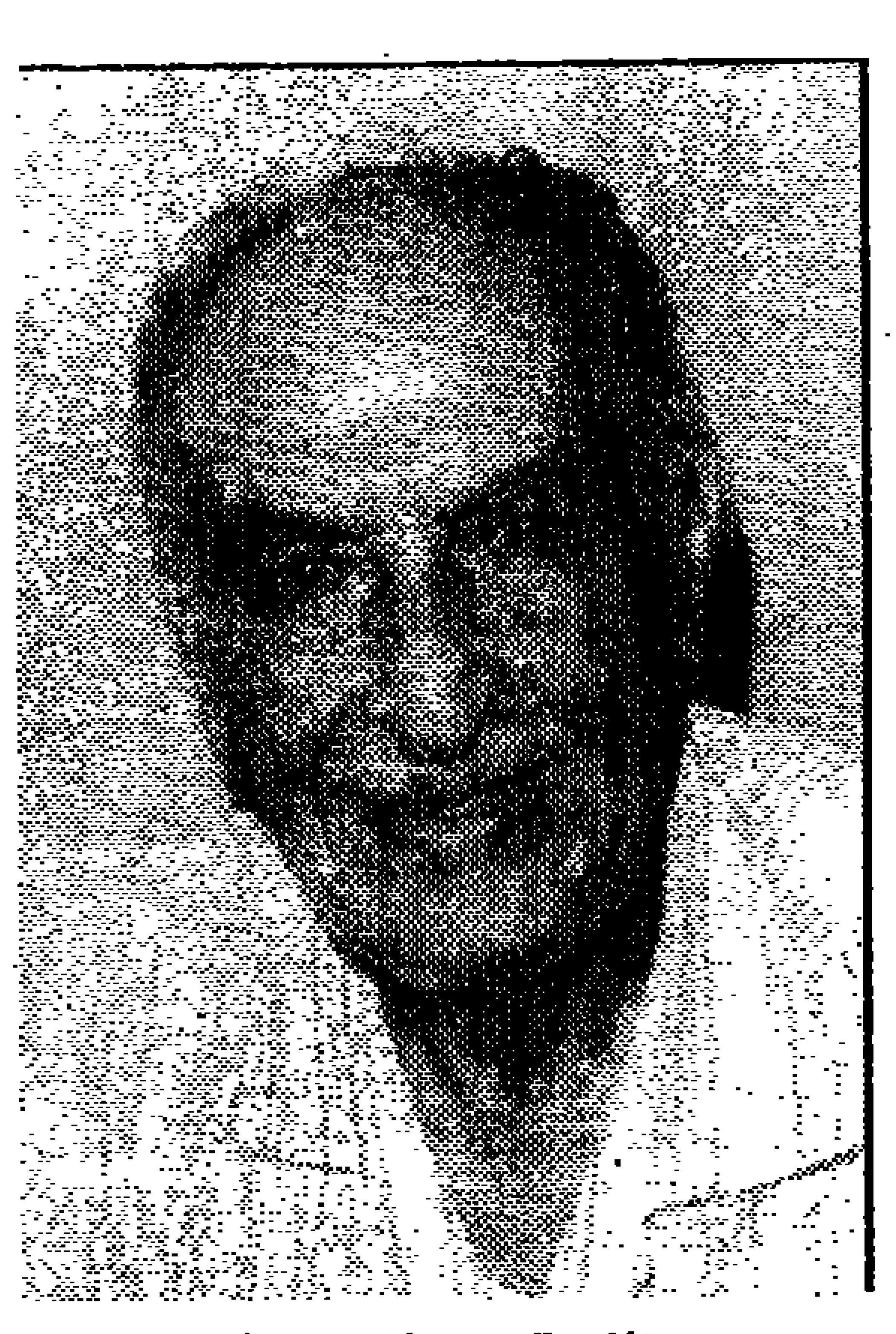
مرحلة الاعداد

ويقول الفريق عبدالمنعم واصل.. فى مرحلة الاعداد للمعركة كان تجهيز البر الغربى للاقتحام والعبور.. واخترنا فى سرية تامة ومن خلال مسابقات وجوائز بسيطة امهر من يجيد السباحة من افراد المشاة والمهندسين الذين قاموا بعمليات استطلاع وتحديد مواقع خزانات النابالم.. التى هددنا بها الاسرائيليون فى عام ٧١ واشعلوا القناة بعد علمهم بأننا سنحارب من اجل خفض الروح المعنوية.. وجاءت فكرة سد الفتحات فكانت السباحة للحصول على قطر الفتحات.. ثم مرة

ثانية ووضع اخشاب وسلة صغيرة مملوءة بالخيش والاسمنت ولم يشعر الجانب الآخر بذلك رغم ان ذلك تم فى فترة الاعداد لاعتقادهم اننا اصبحنا جثة هامدة.

ماذا عن يوم الاقتحام

في يوم ٥ أكتوبر وفى السادسة مساء جاءنا بلاغ بالاستعداد لتنفيذ العملية.. ودفعنا القوارب المطاطية والخشبية خلف الساتر الترابى.. وفتحنا الثغرات فى حقول الالغام لقواتنا ومع شروق الشمس كانت صورة الحياة عادية.. الجنود يتحركون بملابس عادية.. بعضهم يستحم فى القناة وآخرون يقومون بالصيد وتناول الطعام وشركة مدنية تعمل فى الساتر الترابى لقواتنا.


الفريق عبدالمنعم واصل

ويضيف فى الثانية من بعد ظهر يوم السادس بدأت القوات الجوية بالمرور على ارتفاعات منخفضة الى عمق الجانب الآخر.. وبعد دقائق كان الف مدفع على الجبهة تضرب النقاط الحصينة بالضفة الشرقية على ٣ قصفات لمدة ٥٣ دقيقة تم خلالها دفع القوارب بالمهندسين من أجل فتح الثغرات.. ومجموعات اقتناص الدبابات وبعد ذلك تدافعت الموجة الاولى من المشاه لقوات النسق الاول ومن شدة التيار احترق عدد من القوارب.. وكان الحل السريع هو استخدام البرمائيات لنقل الفصائل المهاجمة حتى لا يتم تأخير الجدول الزمنى.. وحققنا نجاحا بعبور القوات فى زمن اقل ، مما قلل خسائرنا فى اليوم الاول الى ٤١ شهيدا و٥٣ جريحا.. وفى نفس الزمن تقريبا اسقطنا البراطيم والمعديات.. بعد نجاح طلمبات المياه فى فتح الثغرات فى الساتر الترابى وواجهنا تحديا جديدا على احد المعابر بصنع حفرة من تدفق المياه بعمق ٧ أمتار ولزوجة الرمال.. وقام المهندسون بردمها كل هذا وسط هجوم الجانب الآخر وصده بالصواريخ المضادة للطائرات.. وعلى محاور تقدم الفرقة الثانية من الجيش كانت هناك عقبة جديدة بعد أن قام المد بانحراف الكوبرى ومنع سقوط آخر برطوم. وبدأ الليل ولم تعبر الدبابات لمعاونة الموجات الاولى والتى هاجمت ما بين النقاط الحصينة ووصلت الى عمق ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ متر.. ونفذت مجموعات اقتناص الدبابات وصواريخ الارض مهامها لاحتلال مصاطب دبابات الجانب الآخر ومنعه من الاستفادة منها.. وكان الاداء اعلى ما يمكن وتم تكليف كتائب ومجموعات قتال لمهاجمة النقاط الحصينة بالاضافة الى اللواء ١٣٠ مشاة وكان يقاتل على مساحة ٣ كيلو مترات لنقطة كبريت ويحاصر ٢٠ مجنزرة.. وأمددنا القوات بالذخيرة عن طريق البرمائيات الى البر الشرقى واستخدام عربات يد الى نقاط الامداد.

كوبرى جديد

وطلبنا كوبرى جديدا بعد نجاح دبابة اسرائيلية فى تدمير احد الكبارى باصابة مباشرة من

مسافة ١٥٠٠ متر واستخدمنا ٥ معديات.. وقامت الدبابات باحتلال مواقعها فى البر الغربى والضرب على القوات الاسرائيلية فى الجانب الآخر.. واستخدمنا كوبرى من الجيش الثانى لعبور قواتنا. ونجحت قواتنا فى تدمير الدبابة

ويقول : فى الرابعة وخمسين دقيقة من صباح يوم ٧ انجلت الغمة وانشأنا كوبرى الكيلو ١٤١ وأعطينا الاسبقية للاولويات وعبرت قوات الجيش الثانى منه ايضا.. واستخدمنا الوسائل المختلفة والقدرة القوية على استخدام القيادة للسيطرة على الموقف.. وكانت معركة كبارى بيننا وبين الجانب الآخر.

فى التدمير والانشاء

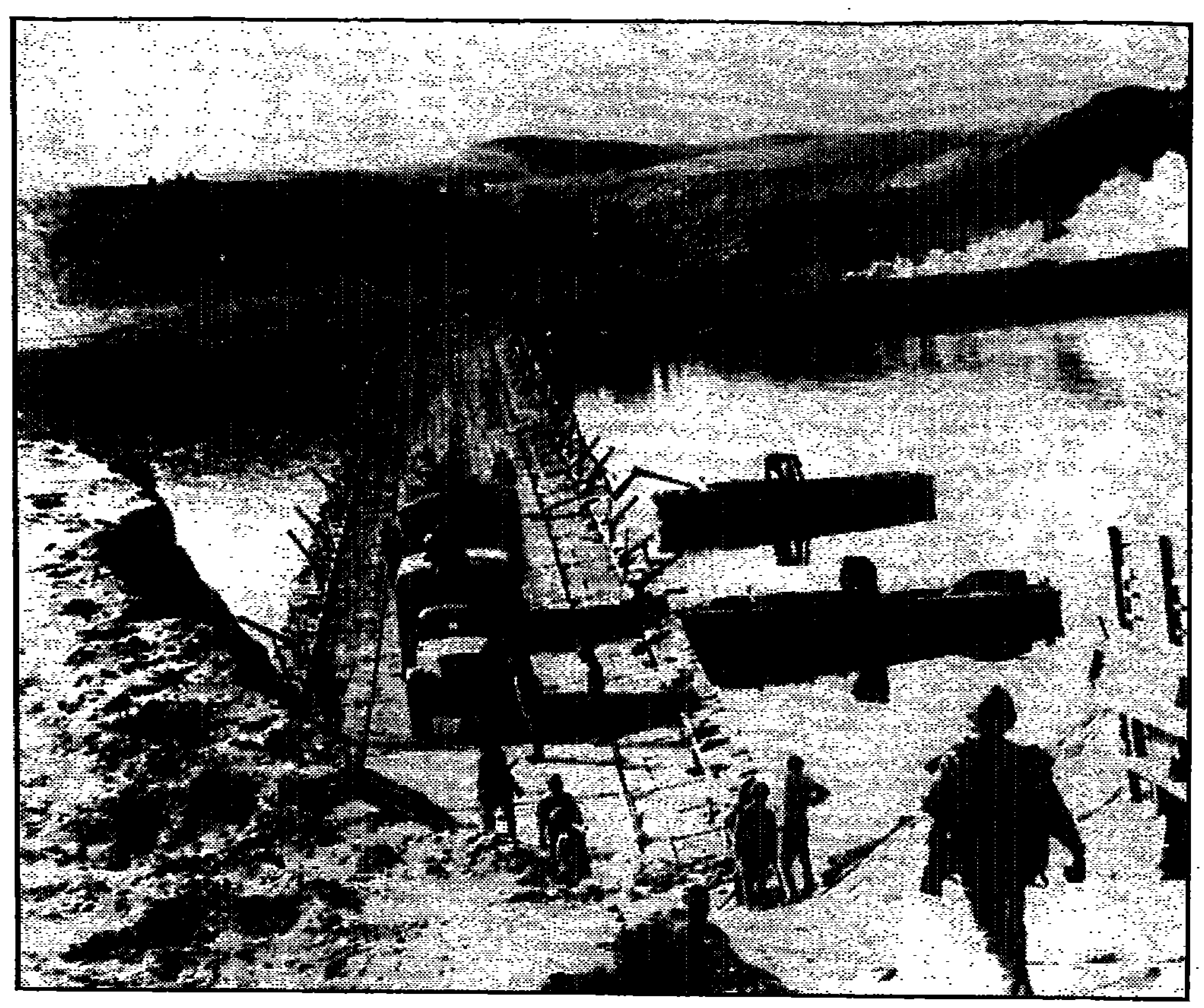
وكانت النقاط القوية الحصينة تحديا آخر.. فقام لواء مشاة ميكانيكى من الفرقة ١٩ بمهاجمة جبل المر والذى اطلق عليه بعد ذلك الفاتح.. ونفذت المهمة بدقة.. ونجح اللواء السابع والاول ميكانيكى من السيطرة على عيون موسى بدون ان يطلق طلقة واحدة الا على الحرس الامامى وترك القائد والجنود الموقع وهربوا.. وحتى الآن مازالت البيجاما وعدة الحلاقة للقائد موجودة فى النقطة.

سقوط الحصون

وشكل لنا المركز المتقدم للجبهة الجنوبية للجانب الآخر تحديا فبمتابعة العمليات وجدنا ان احد الالوية متأخر عن باقى القوات وذهبنا اليه وكان الموقف انه كلما تقدم.. تم الضرب عليه ونسقنا هجوما ليليا صامتا.. وتقدم اللواء المدرع الشهيد مصطفى حسن والوصول فجرا قبل فتح قوات الجانب الآخر.. ونجحنا فى اقتحام الموقع والذى ضم قوات مدافعة عنه من كتيبة دبابات و٢ سرية مشاة ميكانيكى..وكل القوات فى وضع مخندق وبنهاية يوم ٩ اكتوبر كنا قد استولينا على جميع النقاط القوية ماعدا لسان بور توفيق ورأس مسلة.. وسقطت رأس مسلة فى اليوم العاشر.. وهاجمنا بور توفيق بكتيبة دبابات بقيادة قائد لواء وهاجم النقطة بالخارق وشديد الانفجار.. وامام الضرب المكثف طلبوا الاستسلام. فى يوم ١٣ اكتوبر فى الحادية عشرة تسلم مندوب الصليب الاحمر والمحافظ ٣٧ اسيرا اسرائيليا.



جسر فوق
اوهام اسرائيل



كبارى العبور المصرية حطمت أوهام إسرائيل وأثبتت قدرة المهندسين العسكريين المصريين

فى السادسة والنصف من مساء السبت السادس من اكتوبر ٧٣.. كان أول كوبرى اقتحام قد تم بناؤه.. بعد ٤ ساعات ونصف من بداية العبور.. بدأت دبابات وعربات الفرقة الثانية فى الانتقال الى الضفة الشرقية.. لم تكن اسرائيل قبل الحرب تتصور ذلك.. وصورت للعالم استحالة عبور المصريين لقناة السويس فقد قال موشى ديان عندما سأله أحد الصحفيين عن قدرة المصريين لعبور القناة.. ان هذا سيحدث عندما يجتمع سلاح المهندسين الامريكى والروسى معا..

ولقد اثبت المهندسون العسكريون المصريون خطأ موشى ديان وبدون سلاح المهندسين الامريكى والروسى.. تم عبور القناة ودراسة كل شىء بدقة متناهية.. وحل المعوقات والمشاكل من سرعة التيار والمد والجزر.. والتكسيات على جانب القناة وقبل كل ذلك كانت ملحمة تسيير وسائل العبور من كبارى وقوارب

اللواء متقاعد فاروق الزرقا احد رجال العمليات من المهندسين العسكريين فى اكتوبر ٧٣.. شارك فى الاعداد والتخطيط.. يقول .قناة السويس مانع مائى صناعى.. طوله ١٦٣ كيلو مترا تقريبا.. الجزء الذى يصلح للعبور فيما عدا البحيرات والبلاح حوالى ٦٦كم فقط لاغير..

اما عرض القناة بين ١٧٦ و٢٠٠ متر.. وتيار المياه سريع يصل فى القطاع الشمالى الى نصف

متر كل ثانية وفى السويس متراً ونصف المتر ويتغير اتجاه التيار ٤ مرات يوميا ويصل العمق ١٥ مترا والمد والجزر فى الشمال ٦٠ سنتيمترا وفى الجنوب مترين ونصف المتر.

٤ كبارى

لم تكن هذه ارقام بل مشكلات ومعوقات تعيق عملنا كمهندسين عسكريين. وزاد من ذلك وجود تكسيات لجوانب القناة بالدبش المتدرج والستائر الحديدية.. وكان لابد من حساب كل شىء والبحث عن الحلول.. ولم يكن ما سبق هو المشكلات الوحيدة.. فقبل ٦٧ لم يخطر على بال القوات المسلحة ان تستخدم قناة السويس بمفهوم الاقتحام .. فكان كل ما تملكه ٤ كبارى خطوط مواصلات لعمليات غيار القوات بين الضفتين الشرقية والغربية.. وهى كبارى يتم تركيبها فى يومين بواسطة الاوناش.. بالاضافة الى كوبرى اقتحام طراز قديم احتياطى كبارى. وكوبرى اقتحام خفيف فى المخازن.

وطبقا لما هو متوافر لا يوجد لدينا ما يمكننا من العبور طبقا للمعدلات.. ولتكتمل الصورة فقد كان الساتر الترابى وهو ناتج من تطهير وتوسيع القناة يشكل عائقا آخر لنا.. فكان لابد من توافق زمنى بين فتح الممرات على طول جبهة الجيش.. وتجهيز المعابر مع تدفق القوات.

ومعدلات الجسور تقول ان كل فرقة تحتاج الى ٢ كوبرى لضمان تدفقها فى توقيتات مناسبة وتتمكن من القتال بالضفة الشرقية واننا سنحارب بـ ٥ فرق احداها فى القنطرة والثانية فى الاسماعيلية والثالثة جنوب الاسماعيلية وفرقتان فى الجيش الثالث.. وبهذا فاننا فى احتياج إلى ١٠ كبارى سريعة.. ما نملكه هو طراز قديم يتكون من ١٠٠ عربة.. ولك ان تتصور مائة عربة كل واحدة تحمل برطوم يجب ان تدخل الى شط القناة وتسقطه فى المياه وتعود.. وما يتطلب ذلك من عمل مساحات اسقاط او فتحه فقط.

ويضيف اللواء مهندس فاروق الرزقا: مهمات الكبارى تعتبر استراتيجية وحصولنا عليها يؤكد اننا سنهاجم.. فكان الجانب الروسى حريصا جدا فى ذلك . وكانت هناك قيود على التوريد.. فاخذنا نحصل على كوبرى ثم آخر.

سيارات النقل

وكان لابد من ان نجد حلا.. وقبل الحرب كان لدينا كوبرى مواصلات انجليزى اسمه بيرى.. يستخدم البراطيم الطافية.. وبدأنا مع الشركات المصرية فى التصنيع وما احتاجه من صلب خاص(حديد ٩٢) وبالتعاون مع شركة الحديد والصلب تم تصنيع الاجزاء المطلوبة.. وأضفنا للبراطيم مادة طفو.. وأطلقنا على الكوبرى بيرى اقتحام وبعد ذلك ظهرت مشكلة نقل اجزاء الكوبرى.. فوزن القطعة ٤ أطنان.. وشركة النصر للسيارات تنتج عربات ٣ أطنان.. واتفقنا معها على زيادة الحمولة.. وأصبح لدينا فى ٦٩ (٣ كتائب) من كبارى بيرى بدون ان يعرف احد ما نفعل.

ومع الكبارى وكيفية الحصول عليها.. كانت دراسة خصائص قناة السويس، فبدأنا فى عمل تجهيزات للاسقاط طبقا للتكسيات على جانب القناة وتدريب الضباط على كيفية الاسقاط. وايضا سرعة التيار وتغير الاتجاه تطلب تجهيز قطع الكوبرى بمحركات على الجانبين.. والعمق ١٥ مترا

كان يتطلب خطافا بطول ١٥٠ مترا للتثبيت.. فابتكرنا طريقة تثبيت فى الشاطىء.. وايضا لاحتمال اصابة اجزاء من الكبارى وهى مختلفة الانواع ابتكرنا وصلة مزج واستخدمناها خلال الحرب.

ونفذنا تدريبات للافراد على ذلك سواء فى القناة او فى القناطر الخيرية وكانت كل مجموعة تعرف مكان الاسقاط وتنفيذ العبور طبقا لما يتم وللوصول بالكبارى الى المناطق الامامية.. كنا نقوم بتجهيز مناطق تجميع من حفر واجراء المناورات للوصول الى الموقع .. برحلات مختلفة الاتجاهات.

ساحات اسقاط

وفى جانب قواتنا كان علينا ان نقيم فتحات مرور فى الساتر الذى اقمناه.. وخلال الفترة من ٧٠ وحتى ٧٣ كنا نقوم بعمل فتحات بعرض مترين وارتفاع ١٨٠ سم.. ونسدها بالشكائر.. وتقوم الدبابات باحتلالها كانها مرابض ضرب.. وتدرب اطقم لفك التحصين فى مدة من ٥ الى ٧ دقائق وأقمنا ٣٠ ساحة اسقاط بالجيش الثانى و٦٠ نقطة اسقاط وأصبح فى مواجهة كل فرقة ١٠ ساحات و٢٠ نقطة.. وامام الجيش الثالث كل ١٠٠ متر مخرج.

وكانت مشكلة اخرى وهى تدبير القوارب.. فكان جزء من المانيا- قوارب كاوتشوك- وجزء من روسيا.. واستطعنا استيراد نوع من الاخشاب وبالتعاون مع المصانع الحربية تم تصنيع القوارب.

ويقول اللواء فاروق : وكان اختيار الساعة الثانية مناسبا جدا لعملنا. فهى اقل سرعة مد وجزر.. وبها جزء من النهار.. والليل يصلح لعبور القوات.. وكان هذا من مطالبنا فى الخطة.. ولم ننس الخداع فاقمنا المعابر الهيكلية طبق الاصل من الكبارى الاخرى وذلك باستخدام القوارب الخشبية ذات سطح علوى عريض وبمقاسات الكوبرى الحقيقى..

وبالتخطيط والدراسة. نجح العبور.. وكان الاسرائيليون متأكدين أننا لا نفكر فى العبور ابدا واستحالة ذلك.. وفى كتاب لموشى ديان قال لأحد الصحفيين عندما سأله ان كان المصريون قادرين على عملية العبور فقال: ممكن ذلك إذا احضروا سلاحى المهندسين الامريكانى والروسى.. وعند ذلك يمكننا ان نفكر او نخشى ان يفعلوا ذلك.

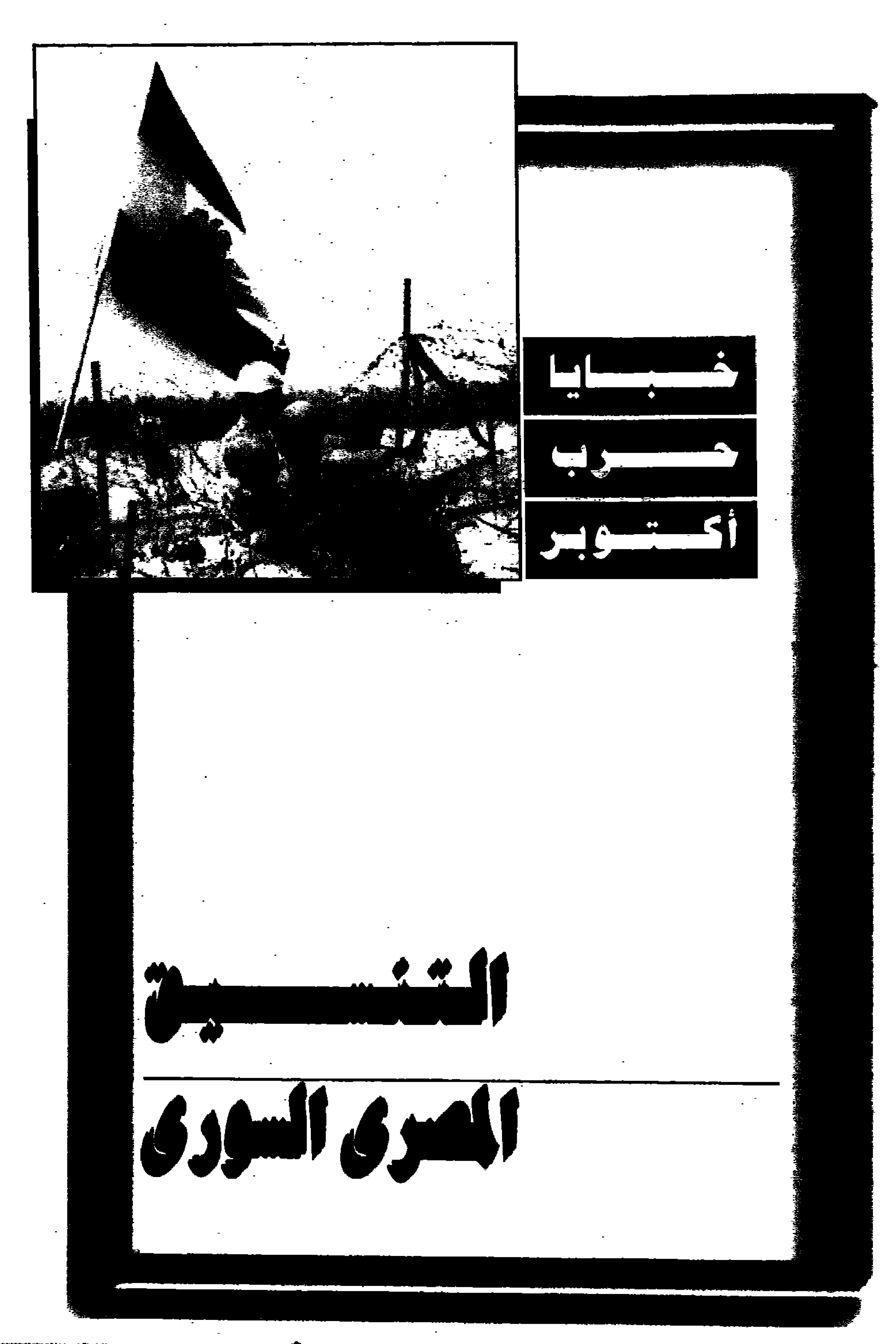
معركة الالغام

وقبل ذلك وبعده كانت معركة الالغام سواء بالاستطلاع الهندسى والعبور للضفة الشرقية والحصول على الغام من القوات الاسرائيلية ودراستها.. او اقامة حقول الالغام امام القوات للحماية وأثناء العمليات وامام حقول الالغام العميقة كنا نستخدم الدقاق لفتح الممرات ودعمنا الوحدات المهاجمة بعناصر مهندسين عسكريين للتغلب على الموانع والاسلاك الشائكة ونسف الدشم.. وقبل الحرب اقمنا ما يقرب من ٧٠٠ دشمة لتحصين الطائرات بما يقرب من ١٠ ملايين جنيه. وزدنا فى اعداد المطارات وممرات الهبوط.. وكانت الدشم قفزة اخذها عنا العالم بعد ذلك.. ولم تصب بشىء يذكر اثناء المعارك وأمكن التغلب على نسبة كبيرة من الاصابات وايضا الدفاع الجوى وحائط الصواريخ واقامة المواقع المحصنة والهيكلية فقد كان لنا دور كبير بها وايضا اقمنا ٨٠ مصطبة دبابات فى البر الغربى.

الشهيد حمدى

البطولات من المهندسين العسكريين متعددة.. الشهيد أحمد حمدى قائد لواء كبارى استشهد فى الرابع عشر من اكتوبر.. اللواء فاروق الزرقا يقول: عندما كان موقعه فى الخلف ليدير ٣ كتائب كبارى ولأن الموقف كان حرجا فى احدى الكتائب.. وقف مع الجنود والضباط ليحثهم على العمل واصيب فى الموقع.. وايضا الشهيد فتحى الصواف من اول الشهداء فى الساعة السابعة من مساء ٦ اكتوبر فوق احد الكبارى فى القنطرة.. وهناك المقدمان محمود التميمى والسيد المسلمى اثناء قيامهما برص الغام فى مواجهة ثغرة الدفرسوار.

فقد استمررنا من ٦٧ وحتى ٧٣ نخطط وندبر ولم يكن فى حياتنا يوم عادى لتحقيق ملحمة العبور.



التنسيق
المصرى السورى



السادات والأسد ـ رفاق السلاح فى لقاء حار تسوده فرحة النصر

وسط وهم اسرائيلي بأننا لن نتفق وإننا غير قادرين اطلاقا على عمل مشترك كانت القيادة العامة الاتحادية بين مصر وسوريا تخطط وتتفق وتعد القوات لتنفيذ ضربتها الجوية المركزة على سيناء والجولان فى توقيت واحد لتعلن بدء الحرب فى تعاون وتكامل وتخطيط مشترك.

فبعد هزيمة يونيو ٦٧ بدأت مصر الاعداد لحرب اكتوبر وقامت بجهود سياسية للحصول على ضمانات لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة ومع فشل الجهود كان قرار الحرب واستبعدت القيادة المصرية العودة الى حرب الاستنزاف او الدخول فى حرب شاملة لطول المواجهة مع اسرائيل وكان الاستقرار على حرب محدودة فى شكل ضربة قوية من اكثر من جبهة عربية واستمرارها لأطول فترة زمنية ممكنة وتحدد الهدف السياسى فى كسر جمود الموقف الاستراتيجى وتهيئة انسب الظروف السياسية والاستراتيجية لاستخدام كافة القوى العربية لتحقيق الاهداف النهائية وإنهاء حالة اللاسلم واللاحرب من خلال قلب موازين الموقف الاستراتيجى..

وتحقق التنسيق المصرى السورى والذى قام على أسس واقعية وعلمية ابتعدت عن الاشكال الاعلامية وتركزت فى وجود استراتيجية واحدة متفق عليها تحدد العدو المباشر والاعداء المحتملين

وأساليب مواجهة كل منهم وإنشاء قيادة موحدة تكلف كل دولة بنسبة معينة من الالتزامات ووجود خطة عمل تحدد بمتقضاها المهام وقوة متحالفة مشتركة تتوافر لها كافة الامكانات.

وشاركت دول العمق العربية لأولة مرة فى تاريخ الحروب العربية الاسرائيلية سواء بتمركز القوات فى اراضى دولتى المواجهة قبل نشوب القتال او بالمشاركة الفعلية وتؤكد التقارير ان اجمالى قوات المساندة بلغ ١٥٠ الف جندى حوالى ١٠٪ من اجمالى القوة البشرية بالاضافة الى ١٣٧٠ دبابة و١٧٠ طائرة مقاتلة بلغت قواتها النيرانية ١٥٠ طنا و٤٧٨ صاروخا و٨ ألوية مدرعة ولواءى مشاة ميكانيكى و٦ لواءات مشاه ولواء قوات خاصة الى جانب الدور اليمنى فى اغلاق مضيق باب المندب والاستخدام الفعال لسلاح البترول.

يقول اللواء بهى الدين نوفل رئيس العمليات للقيادة العامة للقوات المسلحة الاتحادية فى اكتوبر ٧٣: ان اهم الدروس المستفادة من ٦٧ كانت ان العرب قصروا تقصيرا شديدا فى وضع تخطيط مشترك يحدد فيه هدف الدول العربية واستراتيجياتها واتضح ذلك فى الفشل فى حشد القوة العسكرية والبشرية والاقتصادية لتحقيق الهدف وكان من الواجب عندما فكرت مصر وسوريا فى القيام بعملية استراتيجية كبرى عام ٧٣ لاسترداد الارض ورد الشرف العمل على تلافى القصور فى نفس الوقت الذى اعتقدت فيه اسرائيل وقادتها السياسيون والعسكريون بغطرسة ان العرب غير قادرين اطلاقا على عمل مشترك، انهم لن يتفقوا وكانت مفاجأة لهم. إننا اتفقنا وأود ان اقول: ان العرب اذا اتفقوا بصدق وتعاونوا سنحل القضية لأن اسرائيل تعلم جيدا قوة العرب.

واتفقنا فى ٧٣ وكان اتفاقا جزئيا بين مصر وسوريا وتعاونا كاملا عاونت فيه باقى الدول العربية بقدر المستطاع وماسمحت به معرفة بداية الحرب، منهم من عاون عسكريا او اقتصاديا او بقطع وتخفيض انتاج البترول وفرض الحظر على دول مثل امريكا وهولندا..

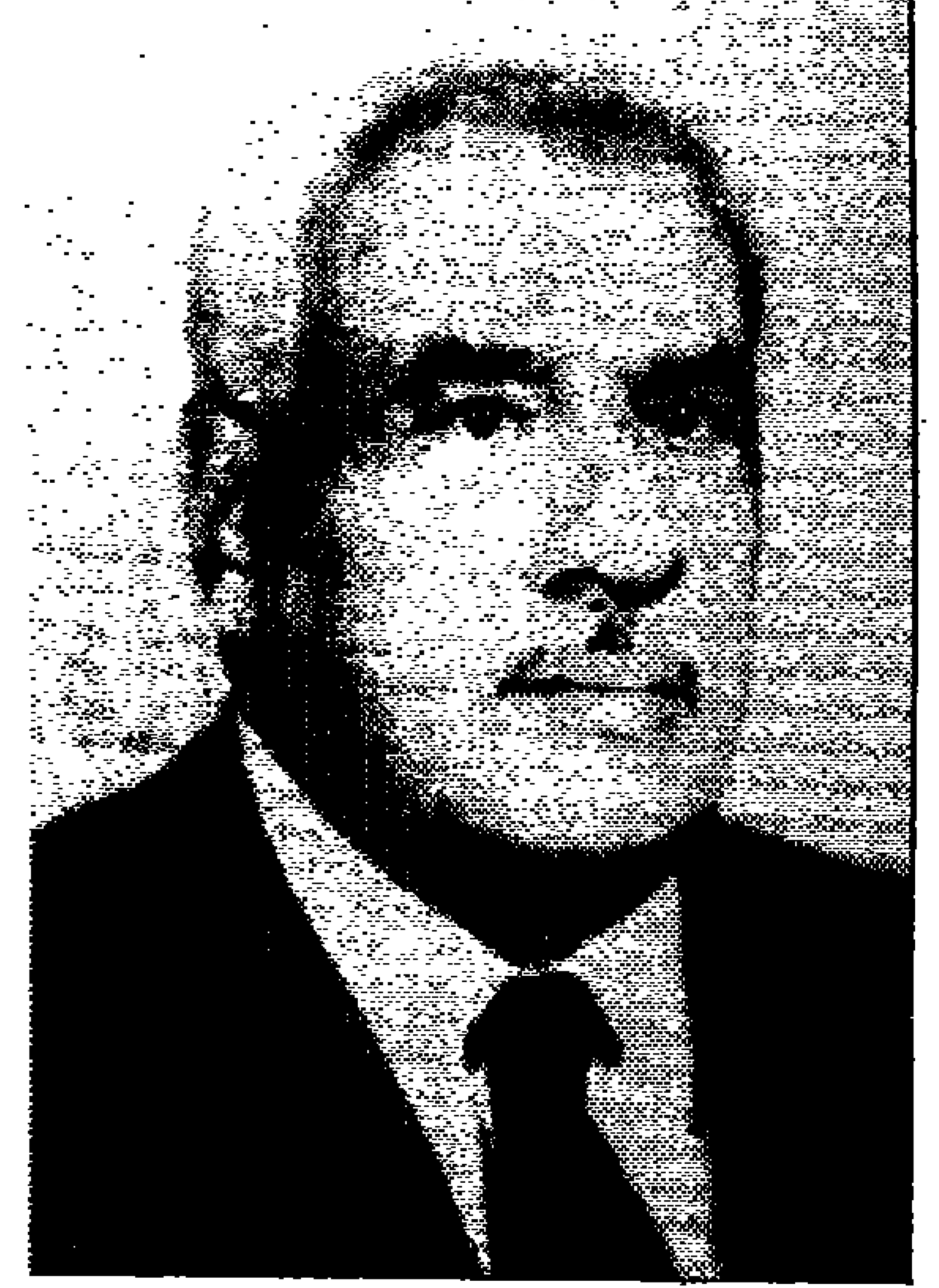
وحاولت مصر وسوريا بعد ٦٧ تنسيق مجهودها العسكرى لاستعادة ما سلب واتخذ التعاون اشكالا متعددة بدءا بقيام قيادة الجبهة الشرقية من ٦٨ وحتى ١٩٧٠ ثم قيادة الجبهات العربية سنة ١٩٧٠ والاتفاق المصرى السورى فى نوفمبر ٧٠ والذى انبثق منه مجموعة عمليات مصرية سورية بقيادة اللواء حسن البدرى ثم اللواء محمد عبدالغنى الجمسى وبعد قيام اتحاد الجمهوريات العربية بين مصر وسوريا وليبيا شكلت القيادة العامة للقوات المسلحة الاتحادية فى ١ يونيو ٧٢ والتى تبحث عن دستور حيث يتم تخطيط منفصل ثم الاتفاق على الخطط والموافقة عليها ووضع خطط مشتركة وترك التنفيذ لكل قائد جبهة وذلك لبعد المسافة بين مصر وسوريا وصعوبة تعيين قائد واحد يسيطر على العملية بالاضافة إلى أن القائد العام فى سوريا كان الرئيس حافظ الاسد ولايمكن تعيين قائد اعلى منه وتشكلت القيادة من الفريق اول احمد اسماعيل قائدا عاما للقوات الاتحادية ومنى كرئيس للعمليات .

● كيف بدأتم التخطيط للحرب وماذا تضمنت تلك الخطط؟

●● بدأنا فى التخطيط والذى شمل عدة خطط: الضربة الجوية المشتركة المصرية السورية، اعداد المطارات التى ستضرب.. التوقيتات.. وحددنا ان تعبر من سوريا اكثر من ١٠٠ طائرة ومن مصر اكثر من ٢٠٠ طائرة وخط الكشف الردارى المنخفض فى توقيت واحد ووضعنا خطط العمليات وخطة خداع عامة حتى لاتتعارض الخطط المصرية والسورية على بعضها وأيضا الاتصالات والشفرة وجلسنا مع بعض لتحديد توقيت بدء العملية الهجومية، الشهر واليوم والساعة وسافرت

الى دمشق حوالى ١٨ مرة وقلنا بعد ذلك يجب الجلوس لتنظيم التعاون وجاءت القيادة السورية كاملة الى القاهرة وزير الدفاع ورئيس الاركان والعمليات والاستطلاع وقادة القوات الجوية والبحرية واجتمعنا فى القيادة المصرية وشرح الفريق اول احمد اسماعيل المهمة وكيفية التنفيذ وتم التأكد من ان كل قائد يعرف مهمته وأسلوب السيطرة وتبادل المعلومات عن الجبهتين كان ذلك فى ٧ يونيو ٧٣.

وفى ٢٠ اغسطس من نفس العام عقدنا مؤتمرا فى الاسكندرية برأس التين لوضع اللمسات الاخيرة للعملية الهجومية والى اى مدى وصلت درجة الاستعداد ودراسة الموقف الحالى والاسرائيلي ومناسبة ذلك والخداع العسكرى الاستراتيجي والتعبوى والتعاون بين القوات واتفقنا ان انسب وقت هو سبتمبر او اكتوبر وترك الموقف بعد ذلك للقيادتين السياسيتين فى مصر وسوريا لتحديد الميعاد واتخذنا سرية كاملة فى حضور السوريين الى مصر بأن يأتى كل قائد فى وقت مختلف ووسيلة مختلفة ويجلسون على البلاج فى الاسكندرية كأنهم فى اجازة ولاتفكير فى شيء.


اللواء اح بهى الدين نوفل

بعد ذلك بسبعة ايام عقدنا اجتماعا مشتركا واتفقنا على ان انسب موعد هو ١٠ رمضان ٦ أكتوبر ولضمان التعاون الكامل سافر ٦ ضباط مصريين فى شهر سبتمبر الى سوريا بحجة التعرف على مسرح العمليات السورى.

وفى ٦ سبتمبر صدرت توجيهات القائد العام الاتحادى الفريق اول احمد اسماعيل الى كل من مصر وسوريا بالاستعداد لبدء العملية بدر فى ظرف ٥ أيام اعتبارا من اول نشوء يوم ١ اكتوبر وكتب ذلك بخط اليد من صورتين وسلمت احداها الى الفريق سعد الشاذلى رئيس الاركان المصرى وسافرت بالثانية الى دمشق وسلمتها لرئيس الاركان السورى اللواء يوسف شاكور وفى ١ اكتوبر ابلغت القيادتين تمام الاستعداد وصدرت توجيهات عمليات القيادة العامة للقوات المسلحة الاتحادية لتنفيذ الضربة الجوية المشتركة وبدء العمليات ساعة ١٤٠٥ يوم ٦ اكتوبر ٧٣ وصدر بالكود «عواصف- حنين» لضمان السرية وسافر الفريق اول احمد اسماعيل الى دمشق وانا معه وسلمنا القيادة السورية التعليمات وقابلنا الرئيس حافظ الاسد وتوجهت للاردن لإنذارها بدون الكشف عن بقية العملية وقابلت فريد بن شاكر الشريف برئيس الاركان الاردنى وابلغته برفع درجة الاستعداد لوصول معلومات بأن اسرائيل تحشد قواتها فى اتجاه الجبهة السورية وعدت للقاهرة مساء يوم ٥ لتبدأ العملية بدر فى توقيتها المحدد وتنفيذ اكثر من ٣٠٠ طائرة مصرية سورية الضربة الجوية المشتركة فى وقت واحد ويبدأ مدير تحضيرات المدفعية فى جبهتى الجولان وسيناء ويعقبهما الهجوم العظيم والرائع لقناة السويس وخط بارليف وتتدفق الدبابات وتشاهد فترة التخطيط الجيد والاعداد المشترك والتعاون الصادق.

● لماذا نجحنا ؟

●● لقد نجحنا فى تحقيق التعاون لأننا حددنا أهدافنا السياسية والعسكرية وايضا وضوح

وبدء التعاون بين القيادات قبل الحرب بمدة واستمرار ذلك اثناء العمليات وبعدها والتخطيط بالاتصال المباشر وتواجد فريق مصرى فى سوريا وضباط سوريين فى مصر فى القيادة الاتحادية بالاضافة الى ان التعاون على مختلف المستويات كان على درجة عالية من الكفاءة سواء سياسيا بين الرئيسين السادات وحافظ الاسد او على المستوى السياسى العسكرى بين الفريق اول احمد اسماعيل واللواء مصطفى طلاس وعسكريا بين رؤساء الاركان والهيئات العليا الاتحادية كما ان الثقة بين كل الاجهزة والقيادات كانت متوافرة ووسائل الاتصالات المختلفة مستمرة ولم تنقطع اطلاقا طوال مدة المعركة ووضوح اسلوب السيطرة والتعاون فى تخطيط مركزى وترك التنفيذ لكل قائد وخطة خداع مشتركة.

ويضيف اللواء بهى لم تكن هناك مشكلات فكان الهدف من التعاون هو جعل اسرائيل فى فترة ماتنتظر يمينا ويسارا وتشتت مجهودها.

●وماذا عن التعاون العربى؟

●● ليبيا رغم انها الدولة الثالثة فى اتحاد الجمهوريات لم تشترك من الاول لاختلاف وجهات النظر بالنسبة للهدف فهى ارادت هدفا آخر اكثر من قدراتنا ولم يكن لها افراد ضمن القيادة الاتحادية وعاونت عسكريا وماليا وباقى الدول العربية لم تكن تعلم ان هناك حربا وعرفت عندما حدثت مثل امريكا واسرائيل وبدأت تتعاون اما بالمال او بارسال قوات تأخر وصولها وتمثل الدور العربى العسكرى فى تقديم دعم عسكرى لبلدى المواجهة قبل حرب اكتوبر ورفع حالة استعداد قواتها لأى طلب كما ساهمت الدول العربية فى تخفيض انتاج النفط وفرض حظر على تصديره وقد تمثل الدعم العسكرى من الدول العربية للجبهة المصرية فى سرب طائرات ميج ٢١ وسوخوى وميج ١٧ وصلا مابين ٩ و١٠ اكتوبر ولواء مدرع يوم ٧ من الجزائر وتمركز سرب طائرات هوترهنتر من العراق فى مارس ٧٣ ولواء مدرع ليبى قبل الحرب ووصل لواء ميكانيكى من المغرب خلال المعركة ولواء مشاه من السودان بعد وقف اطلاق النار وتمركز كتيبة مشاه كويتية قبل الحرب ولواء ميكانيكى فلسطينى ووصل من تونس خلال المعركة فوج مشاه وعادت اليمن مع الاسطول المصرى فى فرض الحصار البحرى على منطقة مضيق باب المندب..

وعلى الجبهة السورية تمثل الدعم فى ٥ أسراب مقاتلات ميج ٢١، ١٧ وسوخوى والفرقتين ٣، ٦ مدرعة واللواء الخامس الجبلى وقوات خاصة واللواء ٢٠ مشاه و١٤ كتيبة مدفعية متوسطة من العراق ووصل بعضها خلال الحرب فى يوم ١١ اكتوبر ومن الاردن فرقة مدرعة وصل منها اللواء الاول فى ١٤ اكتوبر وتمركز لواء مدرع مغربى بسوريا فى ابريل ٧٣ ووصل اليها فى ٢٢ اكتوبر لواء مشاة وكتيبة دبابات من السعودية والكويت.

ويقول اللواء بهى الدين نوفل ان من سمات حرب اكتوبر السرية المطلقة سرية فى التخطيط والتحركات سواء بالنسبة للقادة او القوات او حتى الاتصالات والمحادثات التى تمت بالكود والشفرة وتداول الوثاق بخط اليد وتم التخطيط والاعداد على اساس انه تدريب للعمليات ولم يكن يعلم بالعملية الا عدد قليل جدا عملا بأنه لاداعى لمعرفة شىء الا للمسئولين والمعلومة تعلم بقدر المستطاع.


خبايا
حرب
أكتوبر
الس
ماكتبته

«انس ما كتبت.. ولا تحدث به نفسك»!

عبارة قاطعة تلك التى قالها اللواء محمد عبدالغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة.. للعقيد اركان حرب صلاح الدين فهمى نحلة ضابط فرع التخطيط بالهيئة. نبرات اللواء الجمسى كانت جادة وحاسمة، واستقبلها العقيد صلاح بما تستحقه من اهتمام وتفهم.

كان ذلك فى بداية شهر اغسطس عام ١٩٧٣.

وكان ما كتبه العقيد صلاح نحلة يأتى تحت بند «سرى للغاية».. بل لعله اخطر اسرار القوات المسلحة فى عصرنا الحديث!.. فقد دون العقيد صلاح بقلم رصاص وعلى صفحة واحدة من كشكول مدرسى أنسب شهر وأنسب يوم وأنسب توقيت لبدء العملية «جرانيت- ٢ المعدلة» لتحرير الارض.

واستند فى ذلك الى الدراسات وتقديرات علمية بالغة الدقة، وخلص فى النهاية الى اقتراح ببدء العملية يوم السادس من اكتوبر ١٩٧٣ فى توقيت ما بين الساعة ١٢٠٠ ظهرا و١٤٠٠ بعد الظهر.

●●●

قبل يوم واحد.. دخل العقيد صلاح - كما اعتاد صباح كل يوم- الى مكتب اللواء الجمسى، عرض عليه تقريره اليومى الذى يتضمن خلاصة متابعته لما تبثه اذاعات العالم عن الموقف الدولى خاصة ما يمس مصر وإسرائيل. وقبل ان يغادر المكتب.. التفت اليه اللواء الجمسى.. وقال له: «هناك كتيب هام اعدته جهة امنية رفيعة المستوى عن الاعياد والمناسبات اليهودية.. ادرس هذا الكتيب»..

وأدرك العقيد صلاح ما وراء هذا الكتيب الذى لم يعرف به احد. ان الهدف من دراسة الكتيب هو تحديد (ى) و(س) العمليات، اى يوم وساعة الصفر للحرب بعد ان اكتمل الاستعداد لها.

طلب العقيد صلاح فور عودته الى مكتبه كتيب «الاعياد والمناسبات اليهودية» من مكتبة هيئة العمليات. قرأه بامعان شديد.. وذهب الى منزله. وفى المساء.. استدعى من ذاكرته الحديدية حصيلة عمل وجهد دؤوب بذله ٧ ضباط مصريين فى فرع التخطيط بهيئة العمليات على مدى ما يقرب من ٦ سنوات عاشوا خلالها معاً فى تعاون وتفاهم وفكر مشترك. هؤلاء الضباط هم المسئولون عن التخطيط للحرب.. هم نخبة منتقاه من الضباط الاكفاء الذين يتمتعون بهدوء الاعصاب والقدرة على تحليل المعلومات والرؤية المستقبلية.

وتداعت الى مخيلة العقيد صلاح التطورات الايجابية التى شهدتها الجبهة المصرية خلال الشهور الثمانية الاولى من عام ١٩٧٣.. فمع بداية العام.. اكتمل التخطيط للحرب على مستوياتها المختلفة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.. وتم تجهيز مسرح العمليات ووضع الخطط العسكرية. وبحلول منتصف العام.. اصبحت قواتنا المسلحة مهيأة من حيث الكفاءة القتالية لتنفيذ العملية الهجومية الاستراتيجية.. فضلا عن ان العلاقات العربية اصبحت فى افضل صورها. وجرت على ضوء ذلك مراجعة شاملة للقرارات والخطط واستعدادات القوات لبدء عملية «جرانيت- ٢ المعدلة». وبهذا اصبحت الظروف مهيأة عسكريا لتنفيذ التوجيه السياسى من رئيس الجمهورية لوزير الحربية ببدء الحرب اعتبارا من اى وقت خلال النصف الثانى من عام ١٩٧٣.. وعلى الفور بدأ التخطيط لتحديد انسب شهر ويوم وتوقيت لشن الهجوم. كانت مهمة الافرع الرئيسية للقوات المسلحة (الجوية- البحرية- الدفاع الجوى) والجيشين الثانى والثالث الميدانيين هى تحديد انسب توقيت، وكانت مهمة هيئة العمليات هى تحديد انسب يوم.

●●●

كان السؤال الرئيسى فى ذهن العقيد صلاح نحلة عندما جلس الى منضدة غرفة السفرة بمنزله فى تلك الامسية.. هو: كيف نفاجىء العدو فى اضعف حالاته وظروفه واستغلالها لصالح قواتنا؟!. امسك بقلمه الرصاص وبحث عن اجندة يدون فيها.. فلم يجد امامه سوى «كشكول» ابنته الصغيرة «سلوى» فتح غلاف الكشكول وبدأ يسجل افكاره على الورق

وجد العقيد صلاح ان شهر اكتوبر هو انسب شهور النصف الثانى من العام لشن الحرب. فالجو معتدل بما يتناسب مع ظروف القتال.. كما ان ساعات الضوء والظلام تتساوى فى ايام شهر اكتوبر.. بحيث تتوفر فى النهار ساعات كافية للعبور والسيطرة الكاملة على القوات.

وفى نفس الوقت تتاح ساعات ظلام كافية فى الليل لكى تستغلها قواتنا فى تعزيز اوضاعها شرق القناة فى رؤوس الكبارى والاستعداد لصد هجمات العدو المضادة، والمقدر لها ان تبدأ بعد مابين ٦ و٨ ساعات من بدء الهجوم.. وبالتالى فان حلول الظلام سوف لا يوفر ظروفا مناسبة للعدو لاستخدام قواته فى شن ضربات مضادة، كما لن يمكنه من استخدام قواته الجوية بفاعلية ضد قواتنا ومعابرنا على القناة. فى حين ان ساعات الليل التى تتراوح مابين ١٠ الى ١٢ ساعة ستتيح لنا اعداد الكبارى وعبور اسلحتنا الثقيلة ومراكز القيادة والسيطرة على شرق القناة.

كان شهر اكتوبر هو انسب الشهور من زاوية اخرى هامة.. هى انه يوافق حلول شهر رمضان المبارك.. ولا يتوقع العدو قيام مصر بالهجوم خلال شهر الصيام.. مما يحقق عنصر المفاجأة وخداع العدو.

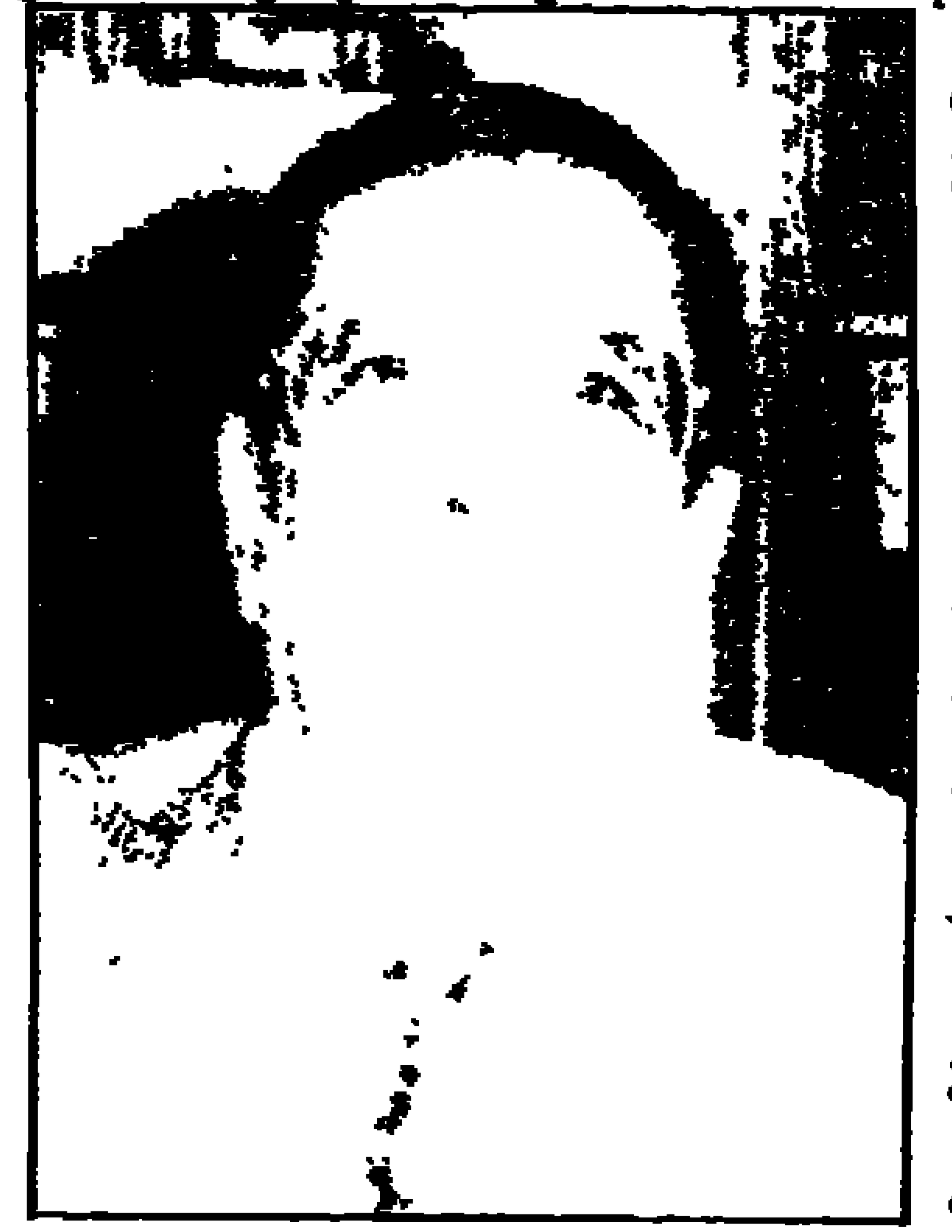
●●●

استقر العقيد صلاح وفقا للاعتبارات السابقة على ان شهر اكتوبر هو انسب الشهور لشن الحرب.. وبدأ يفكر فى اختيار احد ايام اكتوبر لبدء الحرب.. ووجد ضالته فى يوم

السادس من اكتوبر من خلال ماقرأه فى كتيب «الاعياد والمناسبات اليهودية».. فهذا اليوم يوافق يوم سبت وهو اليوم المقدس لليهود حيث يتوقف العمل. كما انه يوافق عيد الغفران او «يوم كيبور» احد اهم الاعياد اليهودية.. حيث تكون استعدادات العدو فى اضعف حالاتها. وبالاضافة الى ذلك يوافق السادس من اكتوبر مضى ١٠ ايام من شهر رمضان وبالتالى تكون الجبهة الاسرائيلية على قناة السويس قد تعودت على تصرفات ثابتة وروتينية على الجبهة المصرية.. مما لا يثير الشكوك فى ان قواتنا تستعد للعبور.

وهكذا اصبح (ى) الحرب هو السادس من اكتوبر. وبقى تحديد (س) الحرب.. اى ساعة الصفر!

فكر العقيد صلاح فى افضل توقيت لتنفيذ المرحلة الافتتاحية للحرب التى تشمل الضربة الجوية والتمهيد النيرانى بالمدفعية. وادرك انه من الضرورى ان تتم فى النصف الثانى من النهار كى تكون الشمس فى مواجهة الاهداف المعادية وخلف رماة المدفعية والطائرات القاذفة.. وان غير ذلك سيكون عاملا لصالح العدو وضد قواتنا.



اللواء ا.ح صلاح الدين فهمى

وفى نفس الوقت.. فان بدء العمليات خلال النصف الثانى من النهار سيفاجىء العدو الذى لا يتوقع قيام قواتنا بعملية هجومية بهذا القدر من القوات وعلى هذه المواجهة الشاسعة وفى توقيت واحد مع الجبهة السورية خلال النصف الثانى من احد ايام شهر الصيام.

واستقر العقيد صلاح نحلة على اختيار توقيت ساعة الصفر ما بين الساعة ١٢٠٠ ظهرا و١٤٠٠ بعد الظهر، خاصة وان عملية عبور القوات واقتحام دفاعات العدو تتطلب قدرا معقولا من ساعات النهار لا يقل عن ٤ أو ٥ ساعات.. يعقبها ساعات الاظلام التى يمكن استغلالها فى تعزيز اوضاع القوات شرق القناة مع تفادى ردود الفعل من جانب طائرات العدو واحتياطياته.

●●●

استغرق هذا الامر من العقيد صلاح ٣ ساعات وفى الصباح سلم.. للواء الجمسى «الكشكول» ونفذ نصيحته بنسيان ما كتب!

مضى شهر.. وجاء شهر سبتمبر وعرف العقيد اركان حرب صلاح الدين فهمى نحله من نتيجة التنسيق..المصرى السورى الذى تم فى اجتماع الرئيسين السادات والاسد والتى وصلت الى فرع التخطيط لوضع الجدول الزمنى للاجراءات المطلوبة حتى ساعة الصفر ان الرأى استقر على بدء الحرب فى الساعة ١٤٠٠ من يوم السادس من اكتوبر.

وظل الموعد سرا.. ولم يعرف قادة الافرع الرئيسية والجيوش والادارات المختصة بساعة

الصفر الا قبل الحرب بثمان واربعين ساعة.

ويتذكر العقيد صلاح ان زوج شقيقته العقيد محمد فطيم دياب الذى استشهد يوم ١٣ اكتوبر.. اتصل به قبل الحرب بيومين بعد ان تلقى امرا باستدعائه الى الكتيبة التى يقودها.. وسأله: هل الموضوع جاد. فرد عليه العقيد صلاح قائلا: اكيد عندكم تدريب.

وفى صباح يوم السادس من اكتوبر.. استيقظ العقيد صلاح كالمعتاد فى الساعة السابعة. وطلب من زوجته ان تذهب لدفع مصروفات ابنتيهما بالمدرسة.. وان تعيدهما الى المنزل بعد انتهاء اليوم الدراسى.. دون ان تدرى زوجته شيئا عما يجرى.. ثم توجه الى مركز القيادة الرئيسية للقوات المسلحة فى الثامنة صباحا.

وفى تمام الثانية عشرة ظهرا.. اغلقت ابواب المركز على من فيه ليفاجأ الضباط بأن الحرب بعد ساعتين!



صاحب فكرة مدافع المياه

وجدتها !

فكرة بمليون جنيه.. بل بكل اموال الدنيا.. تلك التى خطرت على بال المقدم باقى زكى يوسف فى ليلة حارة من ايام شهر مايو عام ١٩٦٩.

وقتها.. كان يشارك فى اجتماع لهيئة قيادة الفرقة ١٩ مشاة بوصفه رئيسا لفرع مركبات الفرقة.. وكان الاجتماع مخصصا لدراسة مشاكل العبور وأبرزها كيفية فتح الثغرات فى الساتر الترابى الذى اقامه العدو على طول حافة الشاطىء الشرقى للقناة، فقد صدرت التعليمات فى اول شهر مايو ببدء الاستعداد للعبور.

المناقشات فى الاجتماع كانت تفاضل بين التفجير والقصف المدفعى والصواريخ المصنعة خصيصا كوسائل لفتح الثغرات فى الساتر الترابى.

●●●

وأثناء المناقشات الدائرة.. انصرف ذهن المقدم باقى الى السد العالى.. فقد انتدب للعمل به منذ اوائل عام ١٩٦٤ وحتى يوم ٥ يونيو ١٩٦٧.. عندما اعيد رئيسا لفرع مركبات الفرقة.. وبدأت تختمر فى ذهنه فكرة «التجريف» اى ازالة الرمال باستخدام المياه المضغوطة ، وأخذ يناقش الفكرة مع نفسه..

تذكر انه اثناء بناء السد كان يجرى استخدام المياه المضغوطة لتجريف جبال الرمال، ثم شفطها فى مواسير من خلال مضخات لاستغلال خليط الماء والرمال فى اعمال بناء جسم السد..اما الذى نحتاجه من هذه العملية فى فتح الثغرات بالساتر الترابى هو المرحلة الاولى منها.. اى توجيه مدافع مياه مضغوطة الى الساتر الترابى لتجرف رماله الى قاع القناة وتفتح فيه ثغرات تعبر فوقها المركبات والمدرعات الى عمق سيناء.

واخذت الفكرة تتبلور فى ذهن المقدم باقى «الاسرائيليون اقاموا الساتر على حافة الشاطىء الشرقى للقناة وجعلوه مائلا بزاوية ٨٠ درجة ليستحيل اجتيازه من جانب المركبات.. ولكنهم لم يكونوا يدركون انهم اقاموه فى انسب وضع لاستخدام مدافع المياه.

المعدات المطلوبة لتنفيذ الفكرة ميسورة كل ما نحتاجه هو طلمبات ضغط عال لشفط مياه القناة توضع فوق «براطيم» عائمة وتضخ المياه المضغوطة الى «مدفع» يسلطها على الساتر الترابى..

●●●

عاد المقدم باقى من افكاره الى مناقشات الاجتماع وطلب الاذن بالحديث من اللواء اركان

حرب سعد زغلول عبدالكريم قائد الفرقة. وشرح فكرته.

انتبه اللواء سعد زغلول الى اهمية ما يقوله المقدم باقى .. وطلب منه ان يعيد عرض فكرته بالتفصيل فشرح المقدم باقى اسلوب التجريف الذى كان يتم فى السد، وكيفية تطبيقه على الساتر الترابى والمعدات المطلوبة لتنفيذ الفكرة.

وطرح اللواء سعد زغلول الفكرة على الحاضرين من رؤساء التخصصات بالفرقة كالمدفعية والمهندسين وغيرهم لإبداء الرأى بشأنها. ودار النقاش حول تأثير المياه العائدة بالرمال على اعمال المهندسين والكبارى، وهل ستكون ارضية الثغرات معاكسة لموجات العبور. وتبين ان المياه العائدة ستنزل بالرمال المجروفة الى قاع القناة.. وان المدرعات المجنزرة ستعبر ضمن الموجات الاولى.. مما يمهد ارضية الثغرات ويجعلها صالحة لمرور المركبات ذات العجل.

ووضح للجميع ان استخدام مدافع المياه مناسب لطبيعة مسرح العمليات وانه اقل من الوسائل الاخرى كالتفجير والمدافع والصواريخ فى التكلفة والخسائر.

وبقيت نقطة واحدة.. هى ان طلمبات شفط المياه المستخدمة فى السد كبيرة الحجم وتعمل بالكهرباء اذن لابد من ايجاد طلمبات اخرى اقل حجما وتعمل بالوقود لتنفيذ الفكرة.

تم تقليب الفكرة على كل الوجوه.. واقتنع قائد الفرقة بجدواها. ولم يستغرق الامر لعرضها على اعلى المستويات اكثر من ١٢ ساعة منها ٨ ساعات ليل.

●●●

فى الصباح الباكر.. اصطحب قائد الفرقة المقدم باقى للقاء قائد الجيش الثالث الميدانى بحضور كبير مهندسى الجيش وعندما سمع قائد الجيش الفكرة اتصل بهيئة العمليات وشرح الامر باقتضاب للواء ممدوح جاد تهامى نائب رئيس الهيئة الذى طلب حضور المقدم باقى الى القاهرة فورا لمقابلته.

واستقل المقدم باقى سيارة قائد الفرقة الى القاهرة.. وهناك روى فكرته لنائب رئيس هيئة العمليات الذى انصت اليه باهتمام شديد. وأبدى اقتناعه بها قائلا: هى ما تتحلش الا كده.. ثم اتصل بمدير ادارة المهندسين وطلب من المقدم باقى التوجه لمقابلته.. وسأله مدير المهندسين عمن كان معه من الضباط المهندسين.. فسرد له عدة اسماء منها العقيد شريف مختار الذى كان موجودا وقتها بالادارة.. فاستدعاه وتحدث المقدم باقى امامه عن الفكرة.. وقال العقيد شريف لمدير المهندسين لِمَ لا تجربها يا فندم؟!

ثم عاد المقدم باقى الى نائب رئيس هيئة العمليات وروى له ما تم. وتوجه بعد ذلك الى وزارة السد العالى.. حيث حصل على صور ونشرات خاصة بموضوع «التجريف» وعاد الى مقر قيادة الفرقة ١٩، وابلغ اللواء سعد زغلول قائد الفرقة بما جرى فى القاهرة. وطلب منه اللواء سعد اعداد تقرير مختصر عن الفكرة واسلوب تنفيذها والمعدات المطلوبة وكيفية الحصول عليها ليقدم الى هيئة العمليات.

●●●

وبعد يومين تلقى المقدم باقى مكالمة تليفونية من قائد الفرقة.. يسأله فيها عن التقرير.. وقال له انه قرر عرضه على الرئيس جمال عبدالناصر فى اجتماعه الاسبوعى بقادة الفرق.

وبعد ٥ ايام.. استدعاه قائد الفرقة وقال له: لقد عرضت الفكرة على الرئيس عبدالناصر وأمر بتجربتها وتنفيذها فى حالة نجاح التجارب.

وبالفعل دخلت فكرة مدافع المياه حيز التجربة.. وبذلت ادارة المهندسين جهدا كبيرا كانت البداية بطلمبة من السد العالى تعمل بالكهرباء.. ثم طلمبة اصغر حجما .. واستمر التطوير حتى تم الحصول على طلمبات ميكانيكية اصغر تعمل بالوقود.

وفى يناير عام ١٩٧٢.. اجرى بيان عملى فى جزيرة البلاح على ساتر ترابى كان ناتجا من اعمال تطهير قناة السويس ومشابها تماما للساتر الترابى.. واثبت البيان صلاحية فكرة «مدافع المياه لشق الثغرات.. وبدأت القوات المسلحة فى تدبير الطلمبات والادوات والمهمات اللازمة لتنفيذ الفكرة وتدريب القوات عليها لاستخدامها فى الحرب دون ان يكتشفها العدو حتى فوجىء بعد ظهر السادس من اكتوبر .

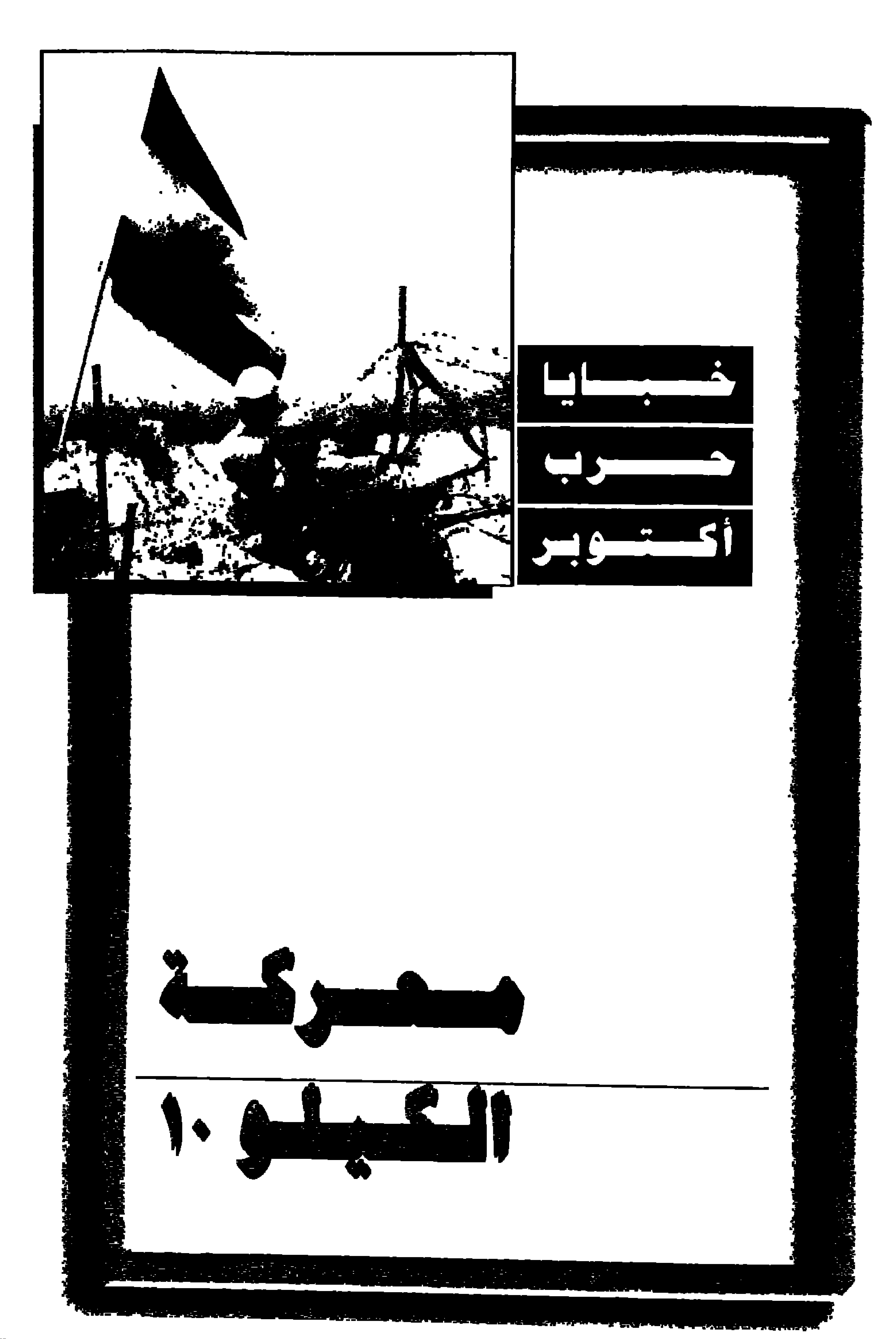
●●●

ويشرح اللواء متقاعد باقى زكى يوسف اهمية استخدام مدافع المياه فى فتح الثغرات قائلا: ان مدفع المياه يفتح الثغرة الواحدة فى زمن يتراوح ما بين ٥، ٢، ٤ ساعات، فى حين ان الوسائل التقليدية كالتفجير والقصف المدفعى تفتح الثغرة فى زمن يتراوح ما بين ١٥ و٢٤ ساعة.

ويوضح ان الثغرة عبارة عن حفرة او ممر فى الساتر الترابى ازيلت منه رمال حجمها يتراوح ما بين ١٥٠٠ و٢٠٠٠ متر مكعب، وهو ما يحتاج من المقاول العادى الى ٥٠٠ رجل يعملون ١٠ ساعات متصلة لازالته. او ٥ بلدوزرات تعمل بلا انقطاع ١٠ ساعات. هذا فى حالة السلم بعيدا عن غارات العدو وقصفه المدفعى.. والمعروف ان قواتنا المسلحة تمكنت من اقامة ٧٣ ثغرة فى الساتر الترابى على طول الشاطىء الشرقى للقناة باستخدام مدافع المياه فى ساعات معدودة.

يقول اللواء متقاعد باقى زكى يوسف الذى حصل على نوط الجمهورية من الدرجة الاولى (عمليات قتال) تقديرا لبطولته:

« سعادتى كانت لا توصف لحظة العبور فقد كان هدفهم من الساتر الترابى قتل اى امل يساورنا للعبور.. ولكن اقدام الجنود البواسل داست ساترهم الترابى فى اقل من ٣ ساعات.


خبايا
حرب
أكتوبر
معركة
الكيلو ١٠

الأسبوع الأخير من سبتمبر ١٩٧٣..
اشارة عاجلة الى كلية الحرب العليا باكاديمية ناصر العسكرية.
مطلوب استدعاد العميد اركان حرب احمد صلاح الدين عبدالحليم قائد اللواء (١٣٥) مشاه والدارس بالكلية لمقابلة اللواء قائد حسن الجريدلى سكرتير عام وزارة الحربية.
ذهب العميد الى اللقاء. قال اللواء الجريدلى: اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى يريدك.
رد العميد صلاح : خير يا فندم!
لم يجبه اللواء الجريدلى، غير انه قرأ
على ملامحه ان هناك امرا ما.
سأله: هل آخذ ملابسى معى؟!
ضحك اللواء الجريدلى وقال: سأقول لك غدا.
رد العميد صلاح: اذن سأتصل بسيادتك الساعة ١١ صباحا، لتقول لى نعم ام لا!
صباح اليوم التالى.. اتصل العميد صلاح.
جاء رد اللواء الجريدلى مقتضبا: سافر الى قيادة الجيش الثانى فى القصاصين.
فى مقر قيادة الجيش.. عرف العميد صلاح من زميل دفعته العميد فاروق سالم رئيس شعبة عمليات الجيش ان المطلوب منه العودة لتسلم قيادة اللواء (١٣٥) فى بور فؤاد.
فى اللقاء مع اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى كان التكليف محددا سافر الى بور فؤاد.. ستتولى قيادة اللواء خلال اعمال المناورة التى ستجريها القوات المسلحة فى الأسبوع الاول من اكتوبر.
لم يفصح اللواء مأمون عن اكثر من ذلك. ولكن العميد صلاح استشعر ان المسألة اكبر من مجرد مناورة!

●●●

وصل العميد صلاح عبدالحليم الى بور فؤاد.
كانت بور فؤاد هى موطىء القدم الوحيد الذى بقى لنا شرق القناة بعد حرب ١٩٦٧.. وبعد أسابيع من حرب يونيو هاجمها العدو بشراسة .. كان يريد الاستيلاء عليها بأى ثمن. ولكنه تلقى درسا قاسيا على يد القوات المصرية فى معركة «رأس العش» لم يفكر العدو بعد الخسائر التى منى بها فى محاولة احتلال بور فؤاد من جديد.. وظل علم مصر خفاقا عليها.
على مدى ٦ سنوات.. كان لواء المشاه (١٣٥) هو القوة المصرية الوحيدة الموجودة شرق القناة فى سيناء.
الى الشرق منه وعلى مسافة ١٤ كيلو مترا.. كانت قوات العدو قابعة فى نقطة «بودابست» الحصينة.
والى الجنوب منه وعلى مسافة ٨٠٠ متر فقط.. كانت قوات العدو تتحصن فى موقع «اورليك» الذى

اشتهر باسم نقطة الكيلو (١٠) كان «اورليك» اقوى حصون بارليف واكثرها قربا من مواقع قواتنا.
بداخل الحصن.. سرية مشاه مدعمة وفصيلة من مدافع الهاون وفصيلة دبابات ثقيلة من طراز (جيه – اس) كان الحصن مكونا من ٣ نقاط قوية محصنة بملاجىء منيعة ضد القصف المدفعي. كل نقطة تستطيع القتال بمفردها، وفي نفس الوقت التأثير بنيرانها على بور فؤاد وبورسعيد.
حصن «اورليك» كان محاطا بسلسلة من جميع الاتجاهات. من الغرب قناة السويس، ومن الشرق سبخات وملاحات بور فؤاد. ومن الجنوب الغام واسلاك شائكة على طريق (القنطرة– بالوظة) ومن الشمال حقل الغام مضادة للدبابات وأسلاك شائكة بعمق ٢٠٠ متر فى المسافة الفاصلة بينه وبين قوات اللواء (١٣٥ مشاه) المصرى.

●●●

الأيام التالية على وصول العميد صلاح عبدالحليم الى مقر قيادة اللواء مضت فى مراجعة خطط العمليات وتنظيم التعاون ومتابعة الكفاءة القتالية والاستعداد القتالى للقوات. كان الجميع يظن ان تلك التدريبات تأتى فى اطار المناورة التى تجريها القوات المسلحة.
مساء يوم الرابع من اكتوبر.. استدعى اللواء عمر خالد قائد قطاع بورسعيد العميد صلاح، وسلمه علمين لمصر..علما لرفعه على موقع «بودابست» وعلما لرفعه على موقع «اورليك».
اذن هى الحرب!
فى صباح اليوم التالى.. وبحضور قادة الكتائب الاربعة التابعة للواء (١٣٥ مشاه).. سلم العميد صلاح عبدالحليم علما إلى العقيد على المزاحى قائد الكتيبة (٥٣٥) المكلفة بمهاجمة النقطة «بودابست» وعلما الى المقدم محمد غياتى قائد الكتيبة (٥٣٤) المكلفة بالاستيلاء على موقع «اورليك».
كان مشهدا مؤثرا. دمعت له العيون. اخيرا حانت اللحظة التى طال انتظارها ٢٣١٣ يوما!
وجرت المراجعات الاخيرة لخطط العمليات.
هدف اللواء (١٣٥ مشاه) فى عمليات اكتوبر كان ازالة اى تواجد او مواقع للعدو شرق بورفؤاد (موقع بودابست) وشمال شرق قناة السويس (موقع اورليك) لتأمين المدخل الشمالى للقناة وحماية الجانب الايسر للقوات المصرية العابرة.
وهدف القوات الاسرائيلية عند نشوب القتال، كان احتلال بورسعيد كورقة للضغط بها فى حالة فشل جهوده فى احباط الهجوم المصرى.

●●●

خطة الاستيلاء على موقع «بودابست» شرق بورفؤاد كانت تعتمد على هجوم رئيسى من البحر المتوسط بزوارق من طراز «زودياك» لا نزال القوات، وهجوم برى على الطريق الساحلى.
ولكن.. لظروف ما قبل المعركة الغى تزويد وحدات اللواء (١٣٥) بالزوارق.
تصرف العميد صلاح عبدالحليم بسرعة.. اتفق مع اثنين من اصحاب قوارب «بلانصات» الصيد من ابناء بور فؤاد للعمل مع القوات وبسبب اعتبارات السرية كان المطلوب الا يغادر صاحب القاربين مقر اللواء لحين بدء الحرب. وبشهامة المصريين.. ارتضى الاثنان البقاء فى مقر اللواء ووضعا قاربيهما تحت تصرف القوات المصرية.
وفى صباح يوم ٦ اكتوبر ابحر القاربان الى عرض البحر وعليهما سرية صاعقة. كان الواضح لمن يشاهدهما أنهما فى رحلة صيد ومع اقتراب ساعة الصفر.. توجه القاربان الى موقع الساحل شرق نقطة «بودابست» وتم انزال رجال الصاعقة الذين عزلوا النقطة تماما وقطعوا عنها الامدادات استمر

حصار النقطة ٣ ايام وجرى فى الايام التالية قتال ضار فى هجوم برى من الطريق الساحلى استشهد خلاله العقيد على المزاحى قائد الكتيبة المصرية المهاجمة، واضطرت القوات الاسرائيلية فى النهاية الى اخلاء النقطة والانسحاب.

●●●

خطة الاستيلاء على حصن «اورليك» بنقاطه القوية الثلاث التى تقع على شكل مثلث، قاعدته فى اتجاه شاطىء القناة ورأسه فى اتجاه الشرق، كانت تعتمد على شن هجوم رئيسى من الشمال فى اتجاه النقطة (١) بقوة كتيبة مجهزة بدبابات مزودة بدقاقات لفتح ثغرات فى الالغام، وهجوم ثانوى من الغرب فى اتجاه النقطة (٢) بقوة سرية تعبر القناة شرقا. مع تحرك فصيلة صاعقة الى جنوب الحصن عبر منطقة الملاحات والسبخات لعزل الموقع وقطع وصول الامدادات اليه عن طريق (بالوظة- القنطرة).

فى العاشرة صباحا.. وقبل ساعة الصفر باربع ساعات.. بدأ تحرك فصيلة الصاعقة عبر الملاحات والسبخات فى اتجاه جنوب حصن «اورليك» بكيلو متر واحد المهمة فى منتهى الصعوبة كان الرجال يتحركون بينما تصل المياه والطين الى منتصف قاماتهم وقبل دقائق من بدء العبور. كان رجال الصاعقة قد اتموا مهمتهم بعزل حصن «اورليك»

فى ساعة الصفر بدأ هجوم الشمال الرئيسى فى اتجاه النقطة (١) وهجوم القوات العابرة من الغرب فى اتجاه النقطة (٢) نجح الهجوم الثانى فى دخول النقطة (٢).ولكنه لم يسفر عن الاستيلاء عليها بالكامل. اما الهجوم الاول.. فقد تعرض لنيران معادية كثيفة ادت الى تدمير ٣ دبابات فى المقدمة كانت تتولى فتح الثغرات فى حقل الالغام.. واستشهد المقدم على الجمل رئيس عمليات الكتيبة.. وتوقف الهجوم فى حدود الساعة السادسة مساء.

اثناء الليل .. اجرى العميد صلاح عبدالحليم تقييما للموقف . ايقن ان استمرار الهجوم من الشمال من مصيره الفشل. وقرر ان يذهب بنفسه الى غرب القناة للعبور شرقا وقيادة معركة السرية التى حققت بعض النجاح فى مهاجمة النقطة «٢».

●●●

مع اول ضوء يوم ٧ اكتوبر.. كان العميد صلاح فى مواجهة موقع «اورليك» او نقطة الكيلو (١٠) من الغرب.. لم تكن هناك قوارب باقية من العبور فى النهاية امكن تدبير قاربين من وحدة مصرية مجاورة.. ابحر القارب الاول شرقا وعليه النقيب محمد مصطفى قائد سرية الصاعقة وجنديان يحملان قاذفات اللهب.. اطلق العدو النيران على القارب وهو فى منتصف القناة.. غرق القارب واستشهد الجنديان .. كان النقيب محمد مصطفى لا يعرف العوم، ولكنه فوجىء بنفسه يصل الى الشاطىء الشرقى للقناة.. كيف؟ لا يعرف!

ركب العميد صلاح القارب الثانى.. اخذ معه تليفونا متصلا بسلك محدود من النقطة التى عبر عندها ليكون على اتصال بقائد قطاع بورسعيد.

لحسن الحظ.. لم يفتح العدو نيرانه..

وصل القارب الى الضفة الشرقية.. كان رجال سرية المشاه داخل النقطة «٢»

بينما العدو متحصنا.

اخذ العميد صلاح «تمام» الموقف من اقدم الضباط الموجودين.

ثم قال للرجال: اهتفوا «الله اكبر» دوى الهتاف فى السماء.

لم تمض لحظة وفوجىء الجميع بعناصر من قوات العدو تخرج من التحصينات حاملة ملاءات بيضاء. وأحدهم يطلب باللغة العربية الامان.

صيحة «الله اكبر» ألقت فى قلوبهم الرعب.

بسرعة .. تم استجواب افراد العدو كشفوا عن تفاصيل النقطة والنقطتين الاخريين.. اتم رجال السرية الاستيلاء على النقطة «٢» وتطهيرها من فلول العدو. ثم وضع العميد صلاح خطة الاستيلاء على النقطة «١» بدأ الهجوم على النقطة فى الساعة الحادية عشرة تحت ستر نيران المدفعية.. وأمكن الاستيلاء عليها بعد حوالى ساعة.

استعدت القوات للهجوم على النقطة «٣» التى تقع بها قيادة حصن «اورليك» ولكن .. اثناء التحضير للهجوم.. فوجىء العميد صلاح بدبابة ومدرعتين تفران من النقطة باقصى سرعة فى اتجاه الجنوب.. امر بفتح النيران عليها ولكنها لم تصب.. نجحت عناصر الصاعقة المصرية التى كانت متمركزة جنوب الحصن فى تدمير الدبابة والمدرعتين وأسر من لم يقتل من افراد العدو.

اسرع العميد صلاح ورجاله جريا الى داخل النقطة «٣» .

كان مركز القيادة خاليا... وجد العميد بداخله جهازا لاسلكيا مفتوحا، ينقل تعليمات من شخص يتحدث كالمجنون وأسمع العميد صلاح ذلك الشخص باقة منتقاة مما كان مخزونا فى صدره من سنين!

كان فى غرفة قائد الحصن.. كنكة وفنجان قهوة ما تزال ساخنة وخريطة القائد.. وحقيبة اخرى مليئة بالخرائط. كان نصيبها بعد عام ان تكون هدية للرئيس السادات من العميد صلاح عبدالحليم الذى اصبح قائدا لقطاع بورسعيد.

وفى تمام الساعة الثانية من ظهر يوم ٧ اكتوبر .. اتم رجال اللواء (١٣٥ مشاه) الاستيلاء على حصن اورليك بالكامل.

سرعان ما وصل النبأ السار الى ابناء بور فؤاد وبورسعيد.. ليزداد المصلون فى المساجد الدعاء لابطال مصر.

●●●

غير بطولات رجال اللواء (١٣٥ مشاه) لا ينسى الفريق صلاح عبدالحليم رئيس هيئة العمليات الاسبق بطولات رجال سرية الدفاع الجوى المكلفة بالدفاع عن كوبرى الجميل غرب بورسعيد.

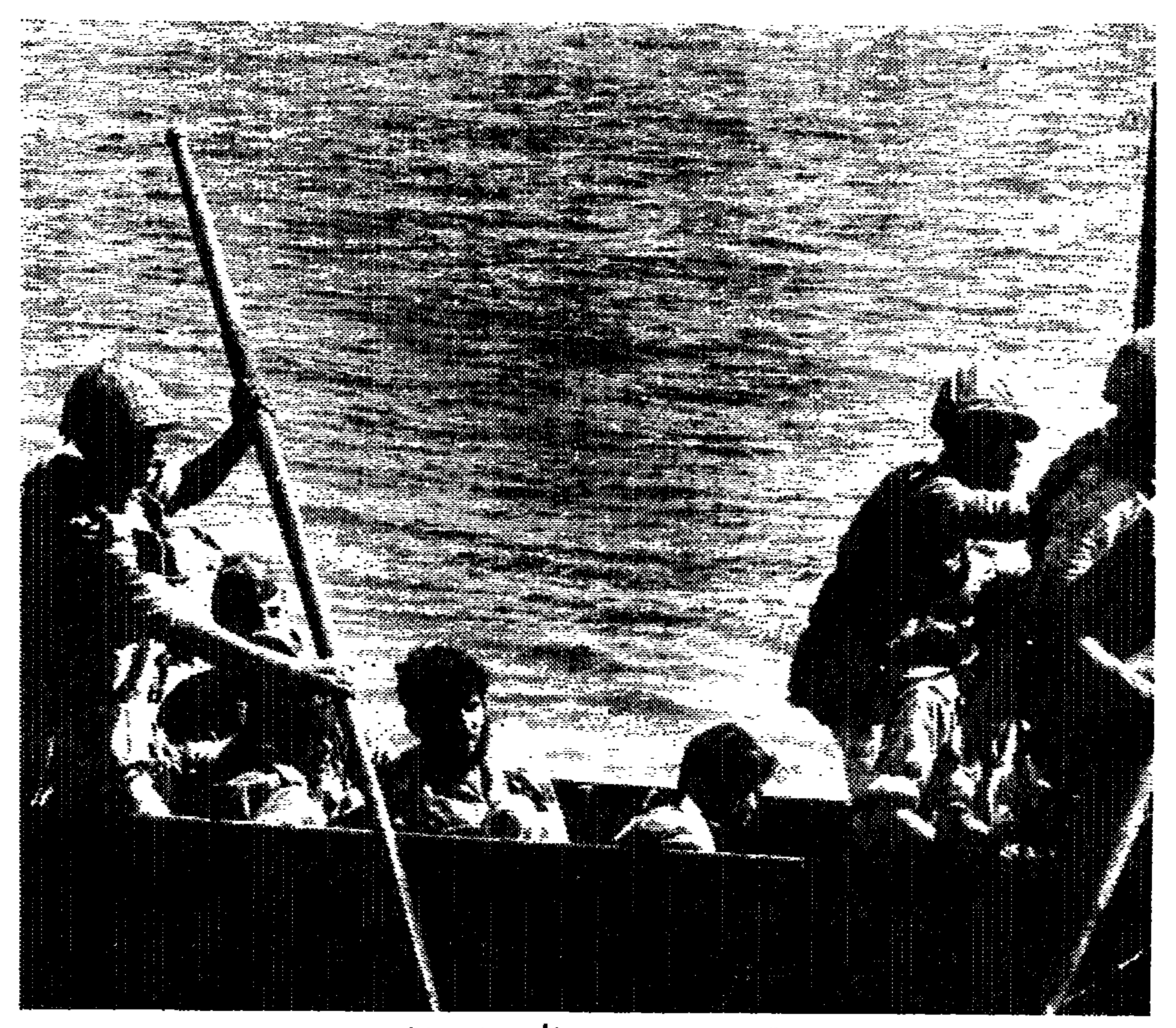
كان ذلك الكوبرى يحكم المحور الرئيسى لامداد قوات اللواء (١٣٥ مشاه) من دمياط ونظرا لاهميته الحيوية فقد تعرض لغارات مجنونة من طائرات العدو طوال ايام الحرب ولكن رجال السرية استبسلوا فى الدفاع عنه والتصدى للهجمات الجوية المعادية، واستشهد قائد السرية فى احدى الغارات كما استشهد القائد الذى تولى من بعده فى غارة اخرى.. ثم اصيب القائد الثالث اصابة شديدة .. وقبل أن يسلم الروح .. قال لرجاله.. اشهدوا انى اموت.. وأسلمكم الكوبرى سليما امانة بين ايديكم.

وظل كوبرى «الجميل سليما»!



خبايا
حرب
أكتوبر

سقوط نقطة البلاح



قوارب العبور.. عادت بالأسرى الإسرائيليين

على ربوة عالية غرب قناة السويس تجمع افراد الكتيبة.. الجندى الاسكندرانى خفيف الظل يقوم بألعاب بهلوانية.. زملاؤه يتسامرون ويتناولون طعامهم.. احدهم يقف عارى المنتصف بعد استحمامه فى القناة.. على البر الشرقى نقطة حصينة «للقوات الاسرائيلية» جندى المراقبة يترك برجه ويختفى فما يشاهده هى حالة استرخاء.

فجأة يدق رنين التليفون .. تعود القوات الى اوضاعها استعدادا لمرور شخصية عسكرية . ويفاجأ الجميع بالحرب ومهاجمة النقطة القوية الحصينة شمال البلاح.

اللواء عصام سلطان قائد المفرزة التى استولت على تلك النقطة يكشف كيف استعدت قواته ونجحت فى تدمير مفتاح مدينة القنطرة شرق.

●●●

كانت السنوات والاشهر السابقة ليوم السادس من اكتوبر هى مرحلة التدريب الشاق. فى منطقة صحراوية قاحلة تجمعت الكتيبة.. وتحت ستر الليل وبسرية تامة كان تحرك مفرزة الاقتحام.. وبجوار مصرف بحر البقر.. تمركزت القوة.. كل شىء متوافر وسائل الاعاشة قوارب مطاطية نخائر.. اسلحة.. خيام.

ومع نور الفجر يظهر مبنى ضخم محاط بالاسلاك الشائكة على البر الآخر من المصرف.. الشكل نقطة حصينة مماثلة تماما لما تشاهده على ارض البر الشرقى بسيناء.. وقبل انتصاف النهار كان الخبراء والقادة العسكريون يلقون بالمهمة.. ويوضحون مكونات المبنى على البر الآخر.

اشهر طويلة كما يقول اللوء عصام سلطان قضاها الابطال البواسل فى التدريب الشاق على المهمة.. التنفيذ يتكرر يوميا . يتم تعديل الخطة وحساب الاخطاء واتقان التدريب.

المهمة

ويضيف بعد التأكد من الكفاءة القتالية لتنفيذ المهمة تصدر الاوامر بالتحرك الى جزيرة البلاح شمال الاسماعيلية وهى جزيرة وسط قناة السويس يبلغ طولها ١٠ كيلو مترات وفى اتجاه الشرق للقناة شاهدنا نقطة قوية حصينة للقوات الاسرائيلية من إحدى قلاع خط بارليف. كانت صورة طبق الاصل لما تم التدريب عليه فى منطقة بحر البقر.. واحتلت المفرزة مربطها فى مواجهة هذا الصرح الضخم.. والذى كانت لفافات الاسلاك حوله قوية ويعلوه برج عال كهربائى يربض فيه مراقب اسرائيلى ومعلق عليه علم اسرائيل بلونه الابيض والازرق وبمنتصفه نجمة داود.

ويقول: درسنا ما هو مطلوب من طبيعة الارض .. جمع التحركات.. أوقات تغيير الخدمات.. وصول الامدادات.كيفية النجدة ،حجمها ومصادر النيران وهل هناك خزانات نابالم واسلوب دفعها فى القناة تلقينا هذه التساؤلات من مجموعة القادة الذين رافقونا.. وكان المطلوب وضع خطة جديدة للمراقبة ورصد التحركات وكتابة تقرير يومى.

ومضى اكثر من شهرين والتقارير اليومية ترسل والتحركات ترصد.. وحفظ الجميع عن ظهر قلب متى يصعد المراقب الاسرائيلى الى برجه.. وكل شيء تريد الحصول عليه.

بداية الحرب

إذن لا معارك.. ولا حرب.. هذا ما كان يدور بين الجنود مع بداية شهر رمضان.. وصدور التعليمات بتنظيم دفعات لأجازات واعادة تسريح المستدعين.. وبخطة خداع كانت الاوامر تأجيل نزول الدفعة الثانية من الاجازات حتى ظهير يوم السادس من اكتوبر.. وكان الجو هادئا جدا.

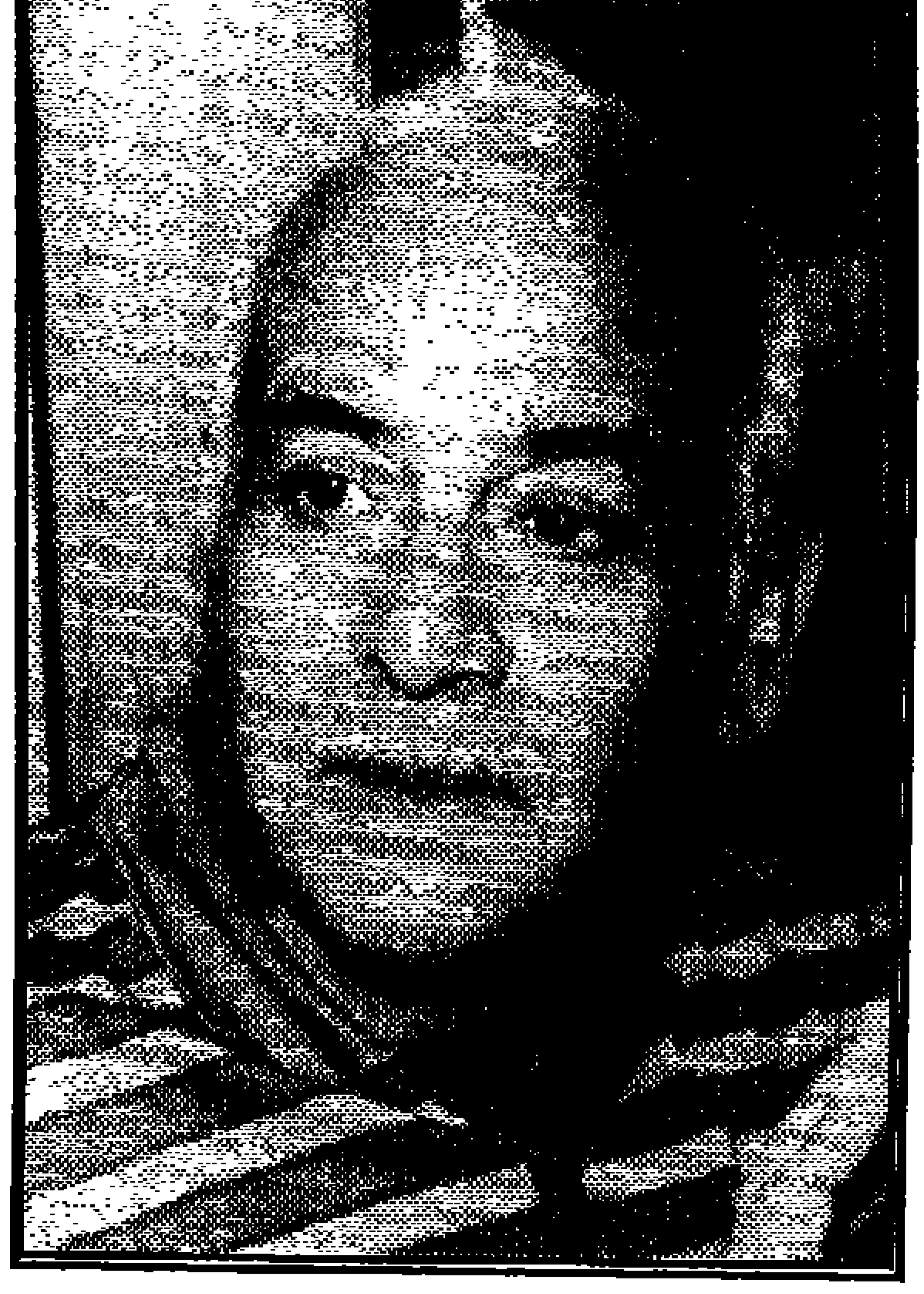
ويقول اللواء عصام.. ويدق تليفون القيادة ويتم استدعائى مع تنظيم صفوف قوة المفرزة استعدادا لمرور شخصية عسكرية كبيرة.. وفى القيادة تصدر التعليمات بأننا سنهاجم مركز قيادة العدو فى النقطة القوية فى شمال البلاح ويقوم باقى وحدات الكتيبة بالتأمين.. وتقدم التوقيتات فى مظروف مغلق.. وتنهمر الدموع.

وبسرعة يتم تجميع قادة مجموعات المفرزة والخداع والتأمين والمهندسين العسكريين والاقتحام.. وفى دائرة على الرمال وباستخدام احجار صغيرة ترسم صورة مصغرة للنقطة القوية الحصينة والتأكيد على المهمة كما تم التدريب عليها.. وتعد المركبات البرمائية والقوارب المطاطية.. وتتخذ الاسلحة مرابضها ويلف الملازم محمد حمد العلم المصرى حول جسده انتظارا للاوامر بالعبور ورفعه على برج النقطة الحصينة.

ويضيف: العمل يدب فى الموقع كخلية النحل.. الكل يعمل.. ويستعد.. وتمر لحظات صمت رهيبة.. ويعتقد البعض ان الامر لن يتعدى مشروعا استراتيجيا.. وفى الثانية نسمع هدير الطائرات ونشاهد

ضربة قوية مفاجئة بطائرات ميج ١٧ على موقع النقطة القوية.. وتتساقط قذائف المدفعية بكل الاعيرة لتضرب بعنف الحصن الرابض أمامنا.. ويقول الجميع انه يوم الخلاص لقد قامت الحرب وتتحرك قوارب الخداع للتمويه عن توقيت واتجاه الهجوم واكتشاف نقاط القوة والضعف فى النيران الاسرائيلية بالنقطة الحصينة.

وتستعد مجموعات الاقتحام من المهندسين العسكريين لفتح الثغرات وتستشهد مجموعة كاملة اثناء قصف المدفعية المعادية.. ويزداد الاصرار بتنفيذ العملية بمجموعتين او حتى مجموعة واحدة.. وتحدد نقطة الاختراق من المنتصف.. وتتحرك مجموعتان من المهندسين بالقوارب المطاطية لفتح ثغرة للاختراق فى الاسلاك وحقول الالغام على الساتر الترابى باستخدام الطوربيد.. وتفقد واحدة من المجموعتين وتصل الثانية الى البر الشرقى تحت وحشية نيران العدو ومدفعياته ويحين موعد عبور مجموعات الاقتحام والتأمين وتتعثر بعض المركبات البرمائية وتم استبدالها بالقوارب.. فى ظل سحابة دخان تصل الى الموقع اسفل الساتر الترابى.. ونفقد طوربيد النسف.. ولم يكن امامى الا استخدام الالغام بعد تشكيل مجموعة فدائية لفتح الثغرة بطريقة يدوية.. وبكل اقدام وشهامة المصريين يتقدم خمسة من مجموعة فى معركة مع الاسلاك الشائكة المصنوعة من الصلب.. وخلال ٣ ساعات باستخدام المقصات اليدوية تنجح فى الجزء الاول من السلك بعد تمزق الايدى وتقطع الظهور ويختلط تراب الارض بالعرق وتصم الاذان من صوت انفجار الالغام وتتطاير معها عقارب الساعات.. ونصل الى قمة الساتر الترابى .. وتواجهنا عقبة كبيرة هو السلك المسطح العلوى.. فهو مكشوف للقوات المتمركزة فى النقطة الحصينة وكان علينا ان نتدبر امرنا مع الوضع فى اعتبارنا اننا معرضون اكثر للطلقات النارية.



اللواء أ.ح عصام سلطان

فتح الثغرة

وباستخدام الالغام والقنابل تفتح الثغرة الى القمة .. وبدأت القوات الاسرائيلية فى الضرب علينا وسقط شهيد وأصيب آخر وبكل دقة وكفاءة يتولى الرقيب عمر الترك اصطياد الجندى الاسرائيلى من داخل حصنه.. وبكل شجاعة لكى يحمس باقى زملائه يرتمى الرقيب عمر على السلك ليكون كوبرى ينقلنا الى داخل النقطة.. وتتقدم مجموعات الاقتحام الاولى والثانية والثالثة. ويكتشفنا العدو ويسلط نيران رشاشات قصف ثلاث ارباع بوصة علينا بكثافة وعنف.. وتندفع المجموعتان الرابعة والخامسة بعد ان قام احد افراد الرشاش باطلاق النيران على الجندى الاسرائيلى واستمر فى ذلك حتى اصيب ثم استشهد.

وقسمت المجموعات الى ثلاث احداها الى مركز القيادة والباقى على الجانبين واختبأ الاسرائيليون داخل الدشم واغلقوا الابواب الفولاذية.

الابواب المغلقة

ومع بداية الليل كانت الفكرة فتح الابواب.. احضرنا براميل البنزين والسولار وصعدنا الى اعلى الملاجىء ومركز القيادة ووضعنا البنزين واشعلنا النيران فى فتحات التهوية واشتعلت الحصون.. وفتحت الابواب وأسرنا ٢٣ فردا اسرائيليا من داخل النقطة ويرتفع العلم المصرى ومع صباح يوم ٧ اكتوبر كانت النقطة الاسرائيلية القوية ومفتاح القنطرة شرق قد تهاوت.. والتى كانت تمثل احدى القلاع الحصينة ومركز قيادة و٤ دشم وبها هاونات ٨١ مم و٦ رشاشات وعلى مواجهة ٢٥٠ مترا وبعمق ٥٠٠ متر ومتصلة بأنفاق ويحميها ساتر ترابى واسلاك شائكة والغام.


خبايا
حرب
أكتوبر
مدافع النيل
اضرب



جدية وإصرار وعزم لا يلين على تحقيق النصر

اجتماع طارىء فى مقر قيادة الجيش الثالث الميدانى.

تكتمل هيئة قيادة الجيش، يتخذ القادة اماكنهم حول مائدة الاجتماع، حوارات جانبية تدور بينهم عن اسباب الاجتماع الطارىء .. يدخل اللواء اركان حرب عبدالمنعم واصل قائد الجيش الى القاعة..

قائد صارم قرأ القادة على وجهه جدية فوق جديته المعهودة.

ألقى قائد الجيش قنبلة من كلمتين:

«الحرب بكرة»!

ترددت فى القاعة اصداء الصمت للحظات مضت وكأنها دهر.

شريط طوله ٦ سنوات دار فى مخيلات القادة خلال تلك اللحظات، ذكريات قاسية مريرة صور لهزيمة ألقت مسئوليتها ظلما على القوات المسلحة. مشاهد لتدريبات شاقة مضنية استعدادا لليوم المشهود.

اخيرا.. جاء اليوم:

أفاق القادة من دوى المفاجأة . قمعوا سعادتهم يجب أن تؤجل الآن.. لا وقت الا للعمل العد التنازلى لساعة الصفر قد بدأ . إما النصر او الشهادة.

تحرك القادة الى مركز القيادة المتقدم بالقرب من السويس. امضوا النهار وجانبا من الليل فى استعراض الخرائط ومراجعة خطط العمليات وباتوا فى المركز .

●●●

استيقظ العميد اركان حرب منير شاش قائد مدفعية الجيش مبكرا فى الصباح.. صباح يوم ٦ اكتوبر امضى ليلة هانئة نام بعمق. ارتدى ملابسه. استقل سيارته العسكرية. طاف بجميع مراكز الملاحظة ووحدات المدفعية التابعة للجيش استمرت الجولة ساعتين . خلالها ابلغ كل قادة السرايا بالساعة (س) .. او ساعة الصفر كان مخططا ان تهدر المدافع على طول خط المواجهة قبل ساعة الصفر بخمس عشرة دقيقة.

رغم كل ذلك.. كانت الشكوك تراود العميد اركان حرب منير شاش كان يخشى ان تأتى الاوامر قبل بدء التمهيد النيرانى تقول «كما كنت» .. اى الغاء العملية!

مضت الساعات بطيئة. ولم تتحقق مخاوف العميد شاش لم يطمئن الا عندما شاهد المقاتلات المصرية تخترق السماء فوق القناة.. تعبرها شرقا الى سيناء وقتها ادرك سر عظمة الرئيس انور السادات حارب حينما ظن الجميع انه لن يحارب!

●●●

الساعة «١٤٠٥».. اى بعد الثانية بخمس دقائق.. هتف العميد شاش فى اجهزة الاتصال التى تربطه بمرؤوسيه من قادة وحدات المدفعية قائلا: اضرب!

.. وهدرت المدافع:

٨٣٩ قطعة مدفع تابعة للجيش الثالث اطلقت قذائفها على حصون خط بارليف.. والى الشمال منها كانت ٤٦٤ قطعة مدفع اخرى تابعة للجيش الثانى، تعزف معها فى ذات اللحظة سيمفونية النار.

فور بدء الهدير.. اسرع العميد منير شاش بإبلاغ «التمام» الى اللواء عبدالمنعم واصل قائد الجيش «اهتز جسده وهو يصرخ قائلا : «تمام يا فندم» مدفعية النيل تفتح النيران على اهداف التمهيد النيرانى.

●●●

تلك اللحظات لا ينساها اللواء منير شاش مستشار رئيس الوزراء لشئون تنمية سيناء رغم مرور ٢٤ عاما، مازالت احداث ذلك اليوم حية فى ذاكرته. يرى مشاهدها وكانها تحدث الآن.

وتتواصل الذكريات!

●●●

مع بدء التمهيد النيرانى.. عبرت مجموعات من المهندسين العسكريين وعناصر قنص الدبابات . احتلت الاخيرة مواقعها شرق القناة للتعامل مع الهجمات المدرعة للعدو. كان متوقعا ان تبدأ تلك الهجمات بعد ٣٠ دقيقة من بدء القصف المدفعى.

ثم بدأت عملية عبور خداعى خلال الدقائق الخمس عشرة التى سبقت ساعة الصفر المحددة لبدء العبور الشامل . تم دفع قوارب عليها «دمى» الى مياه القناة. الهدف منها التأكد من مدى نجاح عملية سد فوهات انابيب المواد المشتعلة التى نفذها رجال المهندسين العسكريين. اذا لم تنجح

العملية، كان العدو سيفتح الخزانات ليشتعل سطح القناة وتحترق القوارب بالدمى، وبالتالى سرعان ما كانت المواد المشتعلة ستستهلك وتخمد النيران الناجمة عنها قبل بدء عملية العبور الحقيقى.

●●●

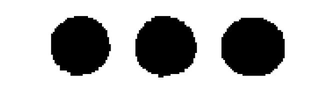
ساعة الصفر:

قوارب العابرين تشق صفحة القناة شرقا، وهتاف «الله اكبر» يدوى فى السماء تدفقت موجات رجال المشاة بأسلحتهم الخفيفة الى الشاطىء الشرقى للقناة.. اعتلوا الساتر الترابى بسلالم الحبال، اقتحموا حصون بارليف.. قاتلوا ببسالة واستولوا على النقاط الحصينة.. كانت خسائر عبور الجيش الثالث اقل مما يتوقعه اشد المتفائلين كان مقدرا ان تكون فى حدود من ١٠ الى ١٢ الفا ما بين قتيل وجريح من بين ٥٠ الف رجل.. ولكنها لم تزد على ١٤١ من الشهداء والجرحى.

كان لابد من عبور الدبابات والمدافع لمساندة قتال رجال المشاه. نجح الجيش الثانى فى انشاء كوبرى عبور المعدات الثقيلة بعد ساعات قليلة.. بينما تأخر انشاء كوبرى الجيش الثالث حتى الساعة السابعة والنصف من صباح اليوم التالى . كان السبب طبيعة التربة فى قطاع الجيش الثالث شرق القناة. كانت تربة طفلية زادتها مياه الطلمبات التى استخدمت فى شق ثغرات الساتر باستخدام التفجير وامكن فى النهاية انشاء الكوبرى بعد ١٧ ساعة كاملة من بدء العبور.



اللواء أ.ح منير شاش



●●●

ليلة ٦/٧ اكتوبر ١٩٧٣.. كانت اطول ليلة فى حياة العميد منير شاش قائد مدفعية الجيش الثالث. امضاها ساهرا. لم يغمض له جفن استبد القلق به وبباقى قادة الجيش- فمعنى عدم انشاء الكوبرى ان يواجه رجال المشاه بصدورهم واسلحتهم الخفيفة دبابات العدو فى اول يوم قتال.

ولكن.. هذا اليوم سجل علامة بارزة فى التاريخ العسكرى .. فلأول مرة فى الحروب تستخدم الصواريخ الموجهة فى اصطياد الدبابات كانت اطقم المدفعية المضادة للدبابات مسلحة بصواريخ روسية من طراز «ماليوتكا». اى المطرقة وتوجه هذه الصواريخ الى الهدف باستخدام عصا توجيه يتحكم فيها حامل القاذف.

تمكن الرجال ببطولة وجسارة من صد الهجمات المعادية المدرعة. بفضل صواريخ الماليوتكا» و«آر. بى جيه» ومعاونة نيران المدافع الرابضة غرب القناة.

فى الصباح.. بدأ تدفق الدبابات والاسلحة الثقيلة لدعم رجال المشاه فى قطاع عمليات الجيش الثالث بسيناء وخلال يومى ٦ و ٧ اكتوبر، استطاع الرجال المسلحون بالصواريخ الموجهة المضادة للدبابات تدمير لواء اسرائيلى مدرع بالكامل.

●●●

ذكريات الحرب كثيرة. ايامها لا تنسى.. بما تحمله من بهجة واحزان من انتصارات ودماء. من

ففى الصباح .. تلقت قيادة الجيش الثالث اخطارا من المخابرات الحربية.. يقول ان هناك لواء مدرعا من العدو قوامه ١٢٠ دبابة سيهاجم الجيش من جنبه الايمن قادما من اتجاه عيون موسى. حدد البلاغ الساعة الواحدة ظهرا كموعد متوقع لبدء الهجوم.

كان وقع البلاغ سيئا فى نفوس جميع القادة. ذلك ان اللواء المدرع سيهاجم قبل اكتمال العبور، بما يهدد بتقويض ما تم من نجاح زاد من سوء الموقف عدم تمكن قيادة الجيش من الاتصال بقائد لواء المشاه الذى سيتجه اليه الهجوم المعادى!

استعدت مدفعيات الجيش لصد اللواء بالقصف من غرب القناة. ولكن .. مضت ساعة تلو الساعة.. دون ان تظهر اى بوادر للهجوم المعادى. وعندما جاءت الساعة الخامسة مساء دون ان يحدث شىء ظن قادة الجيش الثالث ان معلومات المخابرات الحربية لم تكن دقيقة!

بعد دقائق.. عادت الى قيادة الجيش الثالث بعض عناصر الصاعقة التى تم ابرارها فى منطقة «سدر الجبل» .. ومعها سر الهجوم الذى لم يتحقق!

كانت مجموعة الصاعقة قد ارسلت بطائرات هليوكوبتر لتنفيذ مهمة فى تلك المنطقة.. غير ان بعض الطائرات اسقطت. فقامت عناصر من مجموعة الصاعقة باتخاذ مواقع لهم عند مدخل ممر «سدر الجبل» شاءت ارادة الله الا تتم المهمة كما كان مخططا لها.. كان يدخر لرجال الصاعقة مهمة اخرى اكثر خطوّرة وتأثيرا.

فوجىء رجال الصاعقة عند مدخل الممر بطابور ناقلات ضخمة تتهاوى.. وتحمل على ظهرها دبابات لواء مدرع اسرائيلى.. اطلق الرجال صواريخهم على مقدمة الطابور. دمروا عددا من الدبابات اضطرت الناقلات الى العودة وعليها دباباتها من حيث جاءت.. كانت تلك هى دبابات اللواء المدرع الاسرائيلى المكلف بالهجوم!



أسد الفرقة الثانية

حزن داهم كان يعصف بمشاعر النقيب يسرى عمارة كانت آلام النفس اشد وطأة واكثر ايلاما من الاصابة فهاهو يرقد على سريره بمستشفى الحلمية العسكرى بعيدا عن زملائه الذين يواصلون عزف سيمفونية النار والتحرير.. هناك على رمال سيناء.

عبر معهم حقا. صافحت عيناه ارض سيناء قاتل ببسالة.. تقدم معهم شرقا. وقاد رجاله لتدمير دبابات العدو بل وأسر ٤ من افراد العدو. بينهم قائد كما يبدو من هيئته وتسليحه الشخصي..

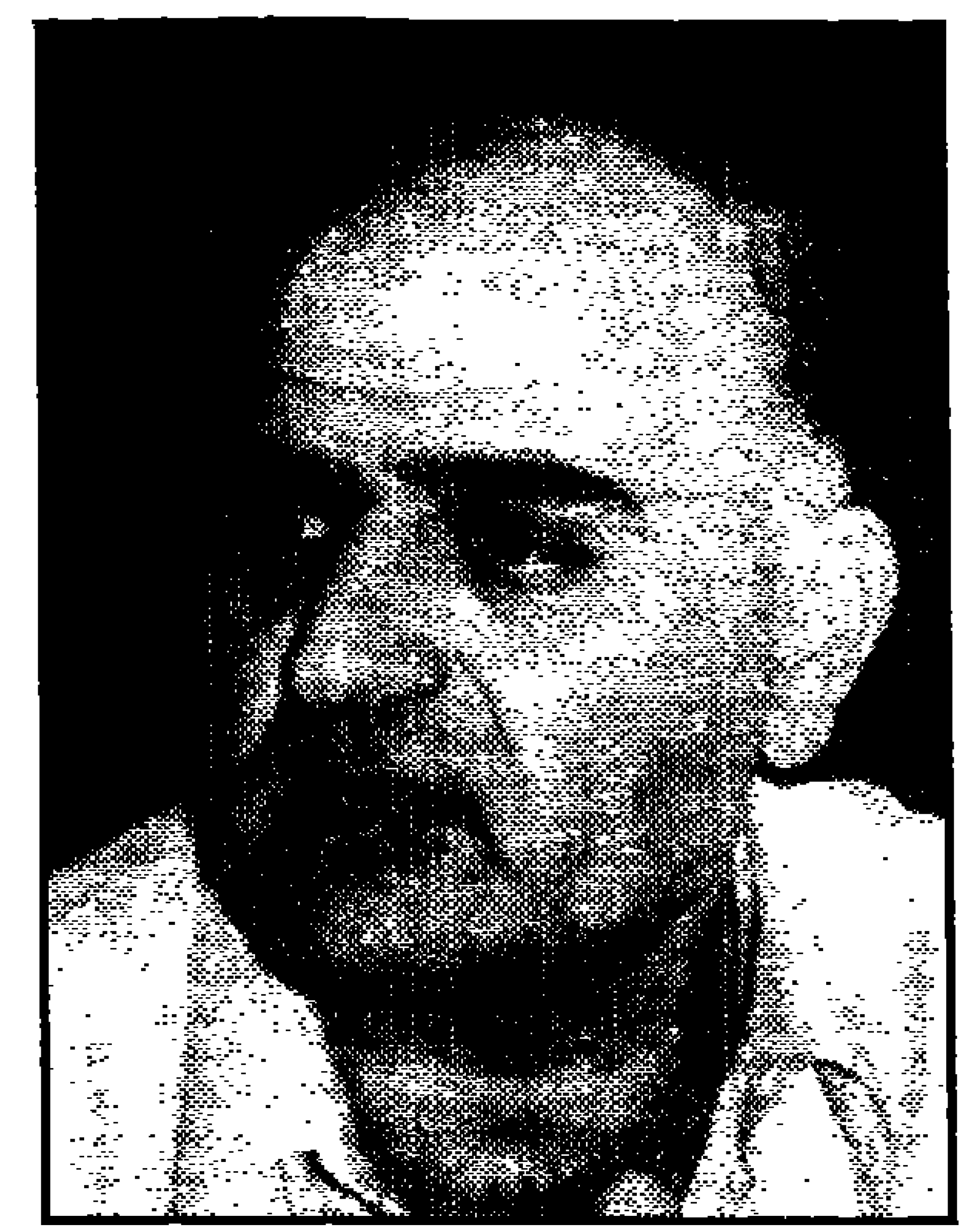
ولكن ذلك. ليس كل مايطمح اليه كان لايتمنى ان يترك ارض المعركة في يومها الثالث فقد عاش يحلم منذ تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٦٩ بيوم تتكلم البندقية المصرية وتقول للعالم.. هكذا يقاتل المصريون. وكان يرسم فى خياله سيناريوهات لدوره فى معركة تحرير ولكنها الإصابة اللعينة التى أخرجته من المسرح قبل أن تكتمل ملحمة النصر وبينما كان النقيب يسرى يعانق جراح النفس والجسد على سريره بالمستشفى فى الغرفة رقم «١» تلقى اسعد نبأ منذ عرف بموعد العبور. جاءه شقيقه الاكبر وقال له : هل عرفت شخصية القائد الذى اسرته مجموعتك مع ٣ من رجاله؟!

فاجابه لا.. فقال شقيقه الم تشاهد التليفزيون؟! فرد ولم اقرأ الصحف بعد قال الشقيق.. انه العقيد عساف ياجورى قائد اللواء «١٩٠» المدرع الاسرائيلى لم يصدق النقيب يسرى . وبعد دقائق جاءه شقيقه الاصغر الطبيب مؤكدا النبأ واعطاه ورقة تحمل نداء الشكر «رقم ٣» الذى اصدره العميد اركان حرب حسن ابوسعده قائد الفرقة الثانية.

كان النداء يشير الى التحية التى وجهها وزير الحربية لابطال الفرقة الثانية. ويخص بالتهنئة ابطال اللواء ١٢٠ مشاة الذين دمروا اللواء ١٩٠ مدرع الاسرائيلى.. ودمعت عينا النقيب يسرى وهو يقرأ سطور نداء الشكر، التى تقول: «اننى احيى النقيب يسرى عمارة الجريح من اللواء «١١٧» مشاه ومجموعته التى اسرت قائد اللواء «١٩٠» المدرع ، فى لحظات.. تبدل حزن النقيب يسرى الى سعادة غامرة. واخذ يتذكر بحب الساعات المجيدة التى عاشها .

تذكر عندما حضر العقيد جلال مروان قائد الكتيبة التى يقود هو سريتها المضادة للدبابات فى العاشرة من صباح السبت ٦ اكتوبر.. وقال لقادة السرية ان ساعة الصفر المنتظرة ستكون فى الثانية من بعد الظهر. وقتها .. ضحكوا غير مصدقين. غير ان الجدية التى كان يتحدث بها العقيد جلال دفعتهم فورا الى مستوى اللحظة.. وبدأ يشرح لهم خطة التحرك منبها الى ضرورة عدم ابلاغ الجنود الا فى وقت متأخر حتى لايشعر العدو بتحركات غير عادية.

وبدأ الاستعداد .. ساعات معدودة مضت.. ودوت الطائرات فوق الرءوس وزلزلت كلمة «الله اكبر» المكان فى منطقة الفردان شمال الاسماعيلية وتحركت الكتيبة للعبور مع الموجات الاولى.. تسابق الجنود لركوب القوارب واجتياز القناة . ووجه المهندسون العسكريون مدافع المياه لفتح السواتر



العميد يسرى عمارة



العقيد عساف ياجورى

الترابية. ورفع اول علم لمصر خفاقا فوق ارض سيناء.. واندفع الرجال الى سيناء تاركين وارءهم نقطة الفردان الحصينة ومضى اول ايام القتال بنجاح باهر.. ليواصل رجال الكتيبة فى اليوم الثانى تقدمهم منذ الصباح الباكر وتصدى المشاة للمدرعات الاسرائيلية وحققوا نتائج مذهلة.. ووصلت الكتيبة الى مسافة ٩ كيلو مترات شرق القناة.

ويجل يوم ٨ اكتوبر. الذى يعتبره النقيب يسرى احد الايام المجيدة فى تاريخ العسكرية المصرية.. بدأ الاسرائيليون فى تحريك الاحتياطى الاستراتيجى والتقدم بلوائهم «١٩٠» المدرع مصحوبا بقوات شرسة.. وبدأت المواجهة. قفز رجال الكتيبة من مركباتهم وسحقوا كل ماظهر امامهم من دبابات معادية. فى الوقت الذى صادهم رجال اللواء الرابع المجاور للكتيبة عند تبة الشجرة وظهرت خسائرهم الجسيمة فى حوالى الرابعة مساء.. واندفعت ا لكتيبة شرقا.. واستقل النقيب يسرى عربة توباز مع زميله النقيب فاروق سليم. وأخذ يحصى خسائر العدو على طول الطريق.. مع الضوء الاخير للنهار وفى غمرة فرحته. شعر بآلام رهيبة فى يديه اليسرى واكتشف ان طلقا ناريا قد اخترق كفه اليسرى نظر تجاه الاسفلت.. فوجد مجموعة من الاسرائيلين يتقدمهم الجندى الذى اطلق عليه النار.. قفز اليهم فى شجاعة. وقبل ان يفكر احدهم فى استعمال سلاحه. كان قد صرع واحدا وفى جزء من الثانية قفز جندى بطل يدعى محمد حسان وفتح نيرانه على الاثنين الآخرين فصرعهما وفى تلك اللحظة ظهر اربعة اسرائيليين اخرين كانوا مختبئين داخل حفرة.. شاهدوا مصير زملائهم.. فاندفعوا نحو النقيب يسرى والجندى محمد حسان رافعين اسلحتهم وقالوا لاتقتلونا نحن اسرى.



ومن هيئة احد هؤلاء الاسرى والطبنجة التى يحملها .. عرف النقيب يسرى انه قائد اسرائيلى.. غيرانه لم يكن يدرى ان اسيره هو العقيد عساف ياجورى قائد اللواء «١٩٠» المدرع الذى دمرت دباباته عن آخرها.

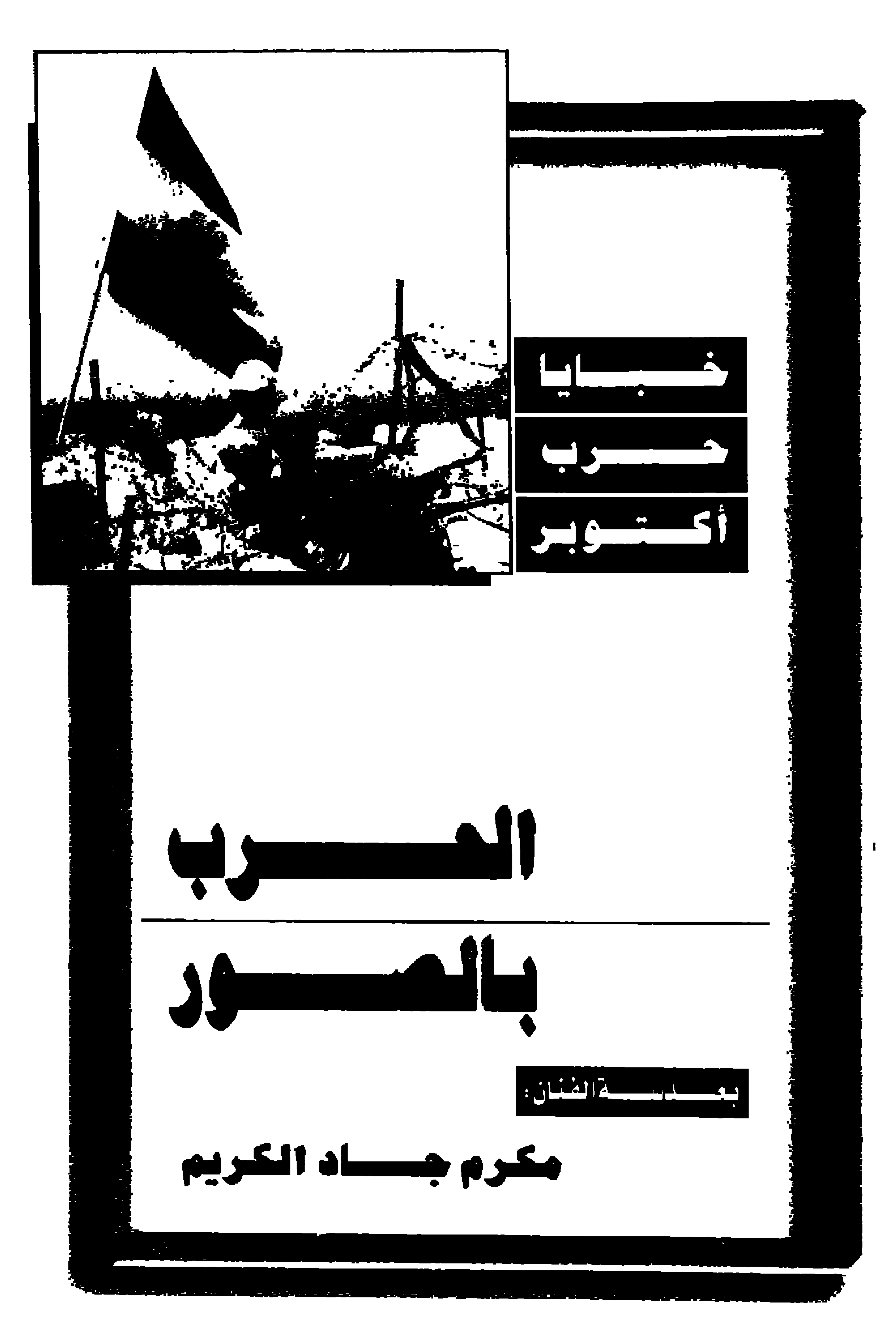
اشار النقيب يسرى الى زميله النقيب فاروق سليم بالتقدم بالعربة وركب الاسرى فيها. وتم تسليمهم الى قيادة الكتيبة..

وفى العاشرة مساء.. زادت آلام النقيب يسرى الى درجة لم يعد يحتملها خاصة ان الجرح قد امتلأ بالرمال.. وتم نقله الى مستشفى القصاصين حيث اجريت له جراحة ثم نقل بسيارة الاسعاف المجهزة الى مستشفى الحلمية بالقاهرة . واثناء نومه العميق بفعل المخدر. اخذ يروى بصوت عال

ماحدث بالضفة الشرقية. واستيقظ فجأة.. ليطلب منه المصابون المنقولون معه بسيارة الاسعاف ان يروى لهم بالتفصيل ما كان يردده اثناء نومه.

●●●

ولاينسى العميد متقاعد يسرى عمارة الحاصل على وسام النجمة العسكرية رفيقه فى ايام المعركة النقيب فاروق سليم الذى استشهد بشظية عند عودته من قيادة الفرقة بعد ان سلم الاسرى الاربعة ومن بينهم عساف ياجورى.. كما لاينسى الشهيد الجندى البطل محمد حسان الذى انقذ حياته مرتين . الاولى عندما قفز ليصرع جنديين اسرائيليين قبل ان يطلقا النار عليه .. والثانية عندما اصر على اصطحابه بعد اصابته الى الضفة الغربية لعلاجه . ليعود من جديد الى ساحة المعركة وينال الشهادة يوم ١٤ اكتوبر بعد قتال بطولى..

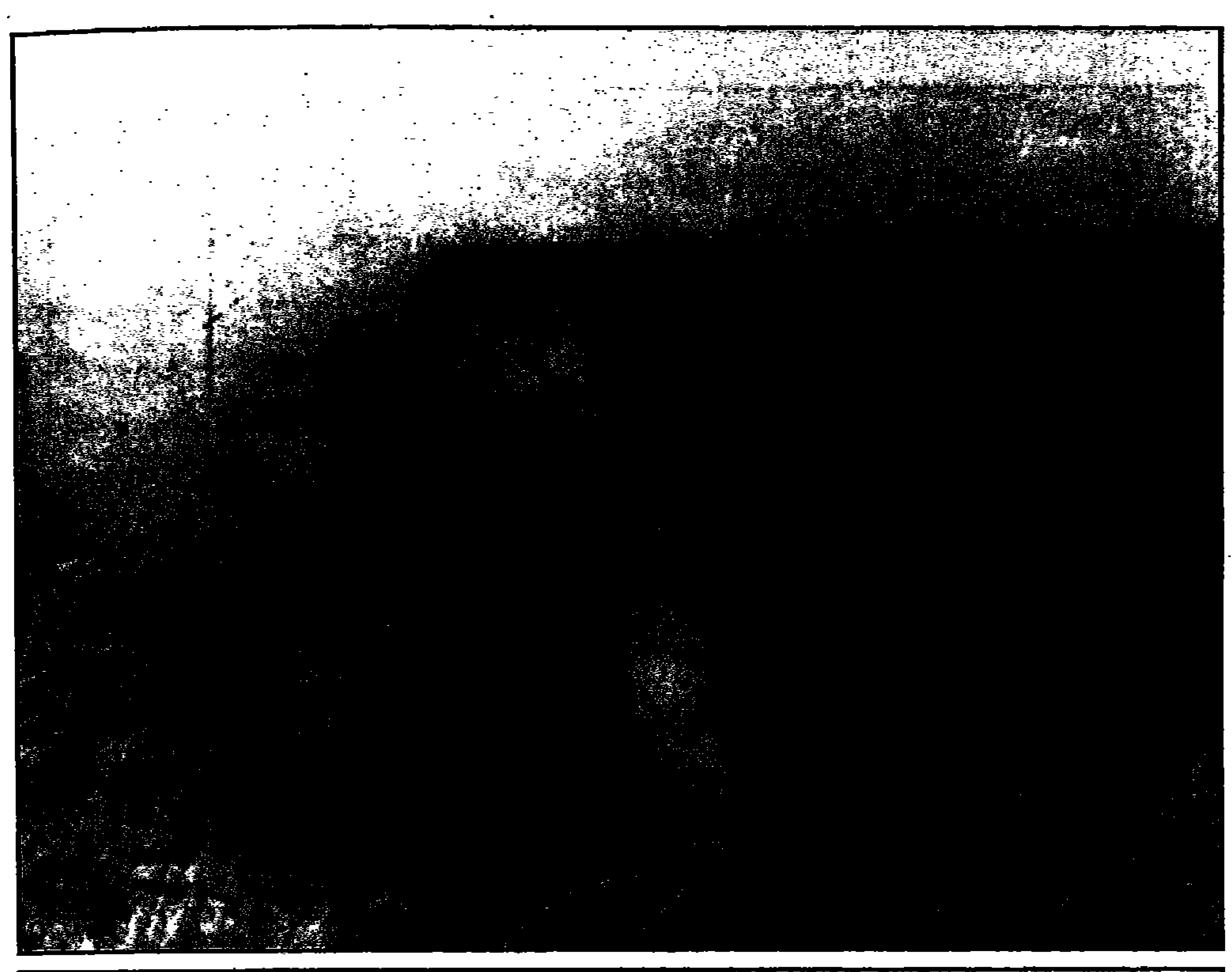

خبايا
حرب
أكتوبر
الحرب
بالصور
بعدسة الفنان:
مكرم جاد الكريم

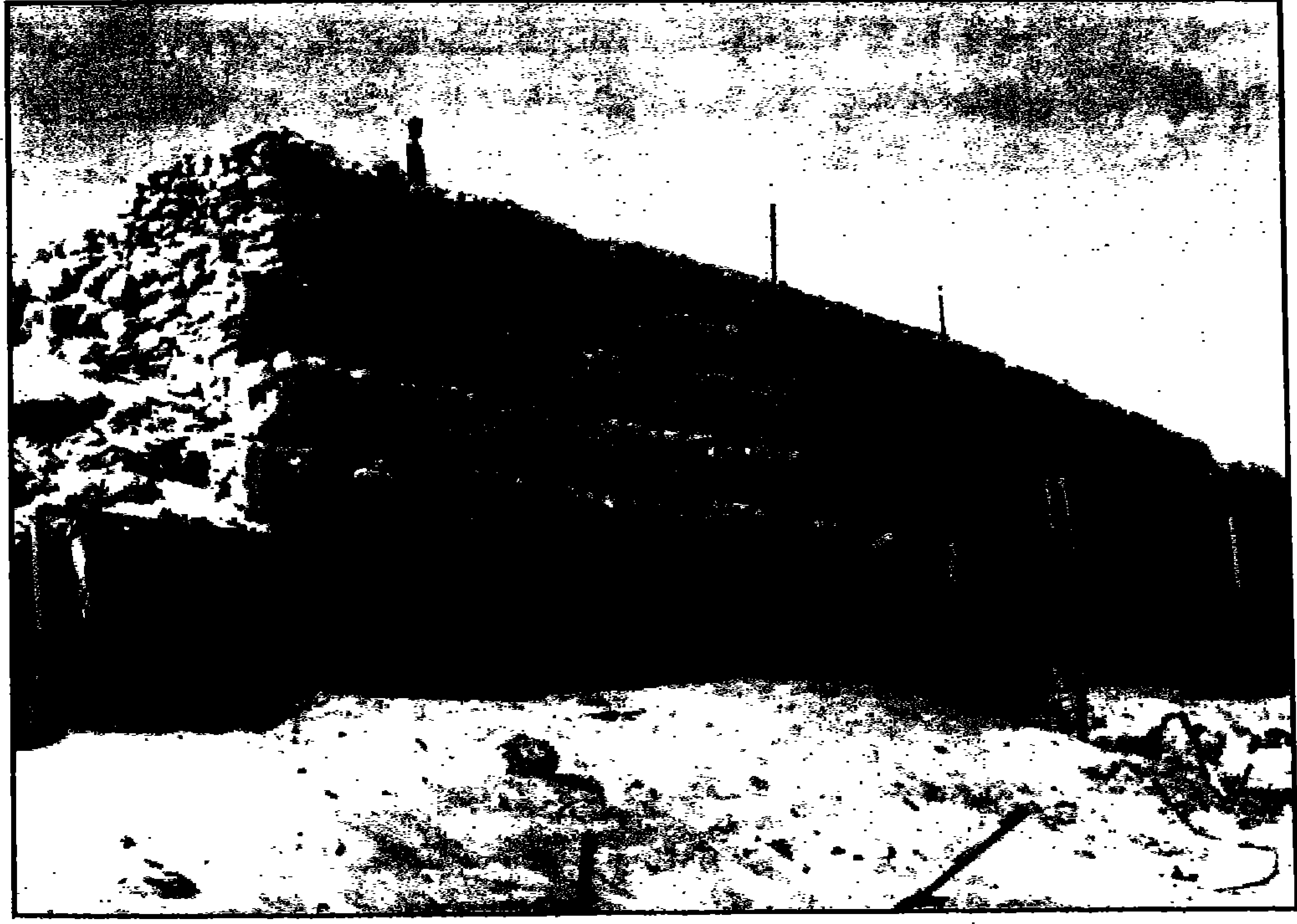


الرجال يقتحمون قناة السويس على القوارب والمعديات لتحرير الأرض

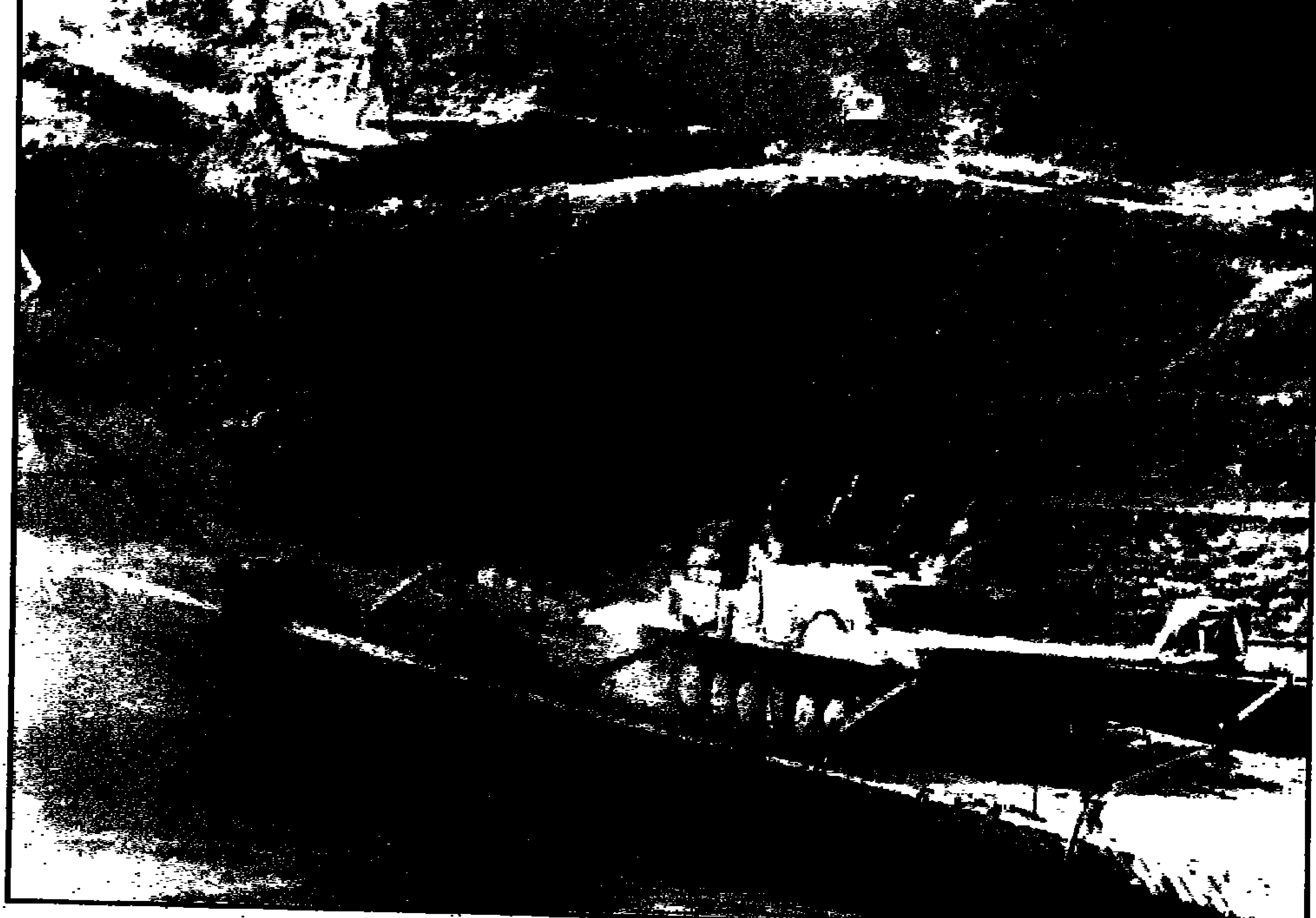


حصون خط بارليف تهاوت تحت أقدام المقاتل المصرى





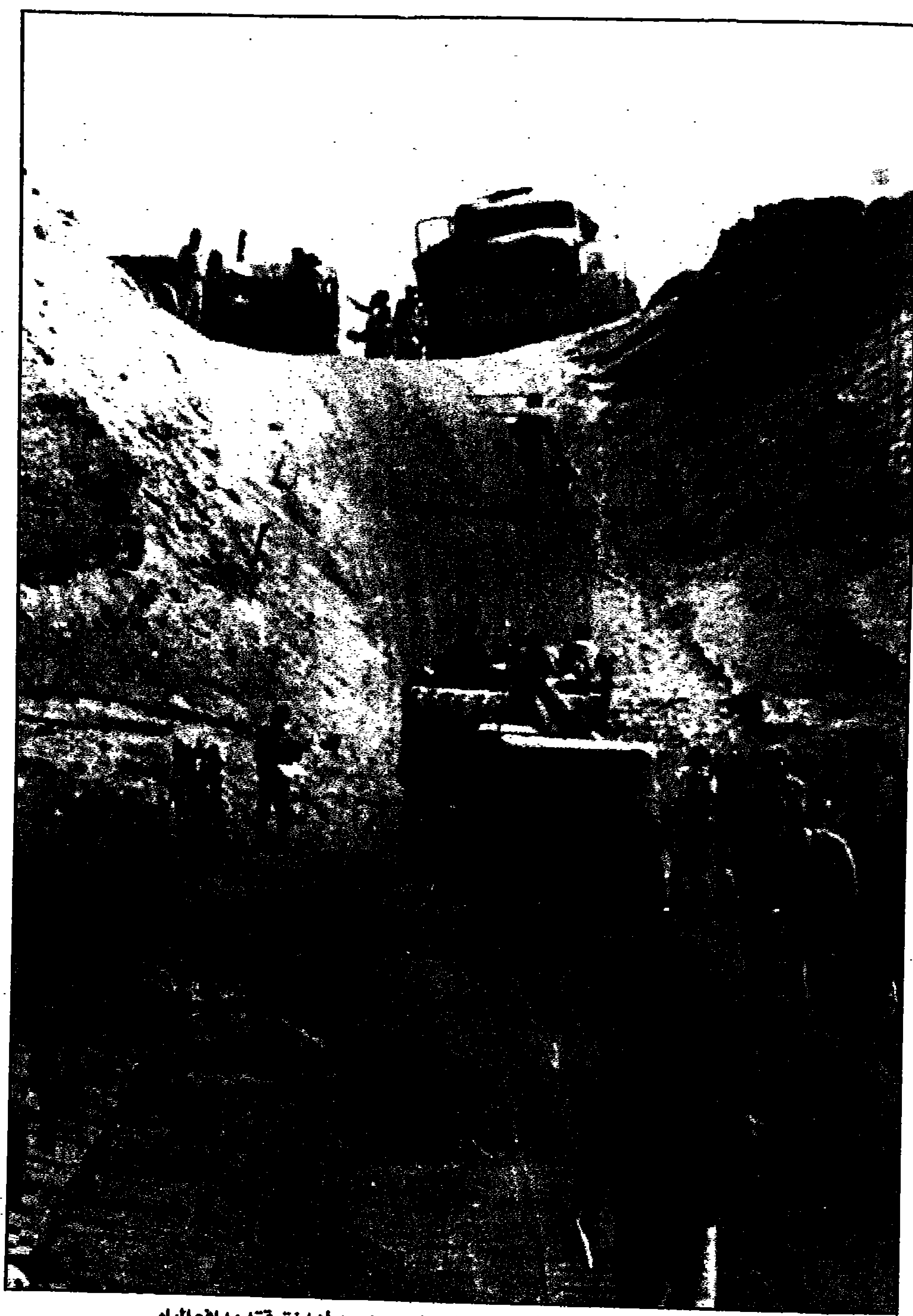
الدشم والحصون لم تصمد أمام إرادة المقاتل المصرى لتحقيق النصر



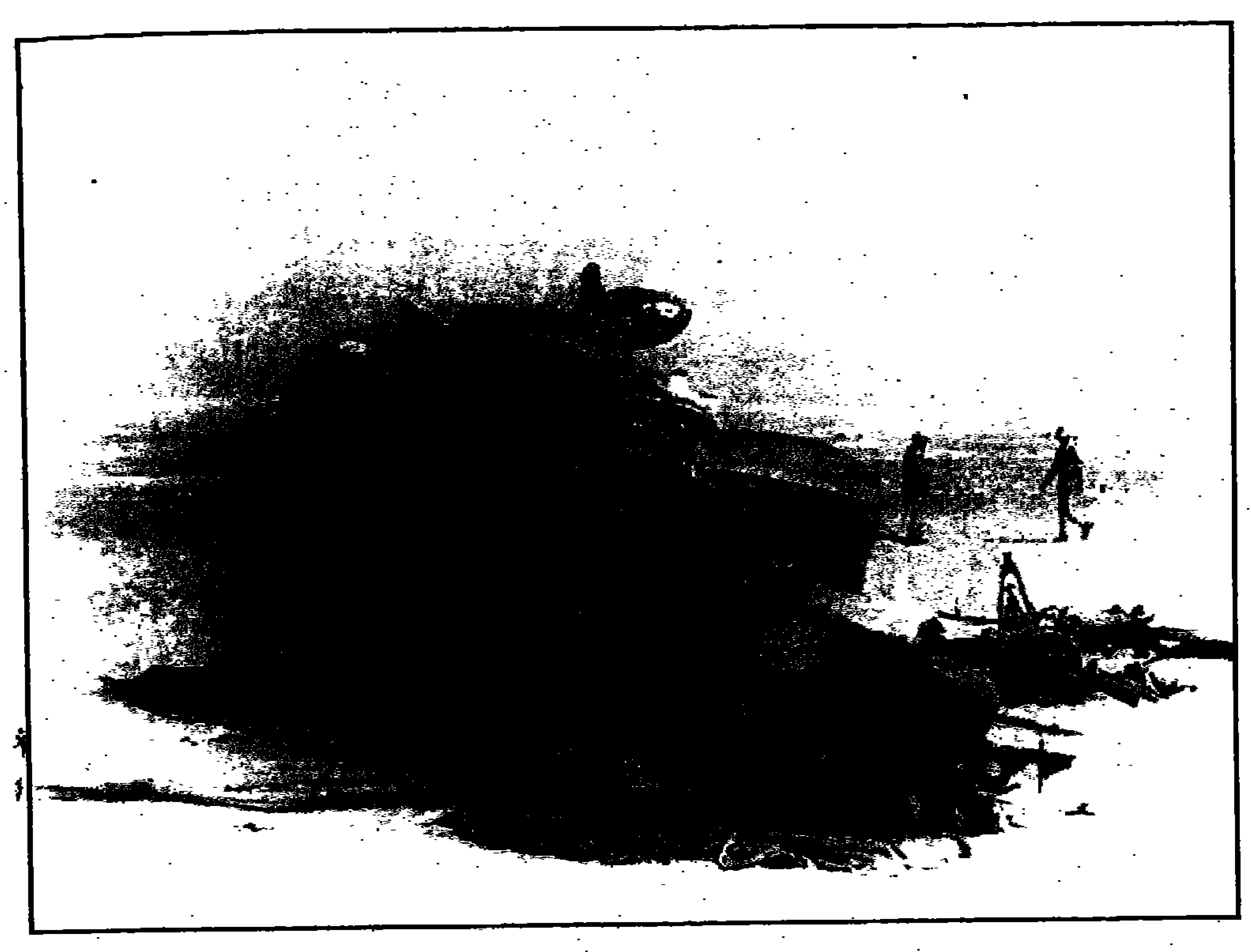
بعد ساعات قليلة من ساعة الصفر تدفقت الدبابات والمركبات المصرية على كبارى العبور لمساندة عناصر المشاه

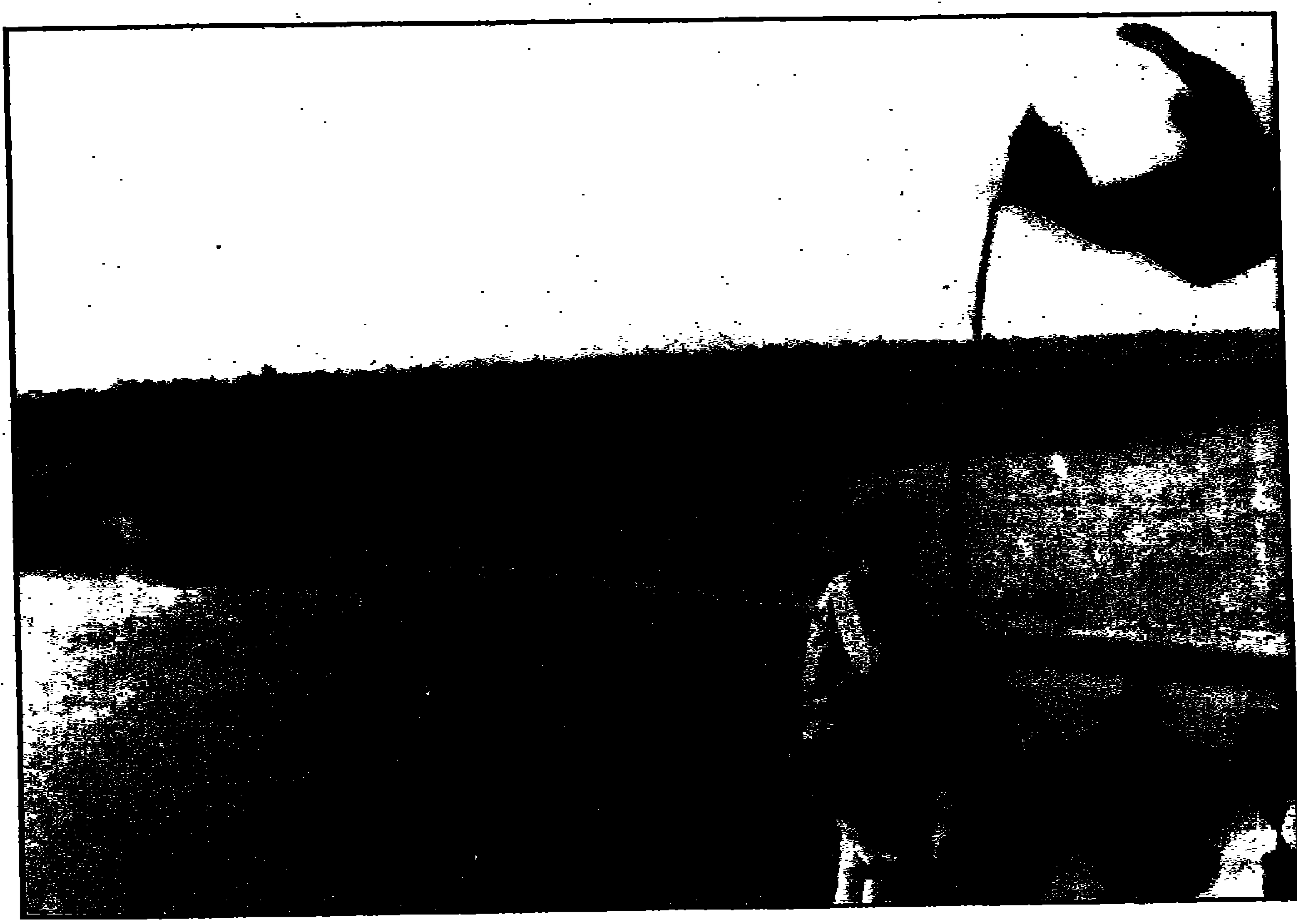


علم مصر يرتفع خفاقا عاليا على الضفة الشرقية للقناة .. وفرحة النصر تنطق على وجه مقاتل مصرى



الساتر الترابى تهاوى تحت أقدام المقاتلين المصريين بعد أن اخترقته مدافع المياه





نيران المصريين دمرت معدات العدو، وعلم مصر يرفرف عاليا شرق القناة فى سيناء



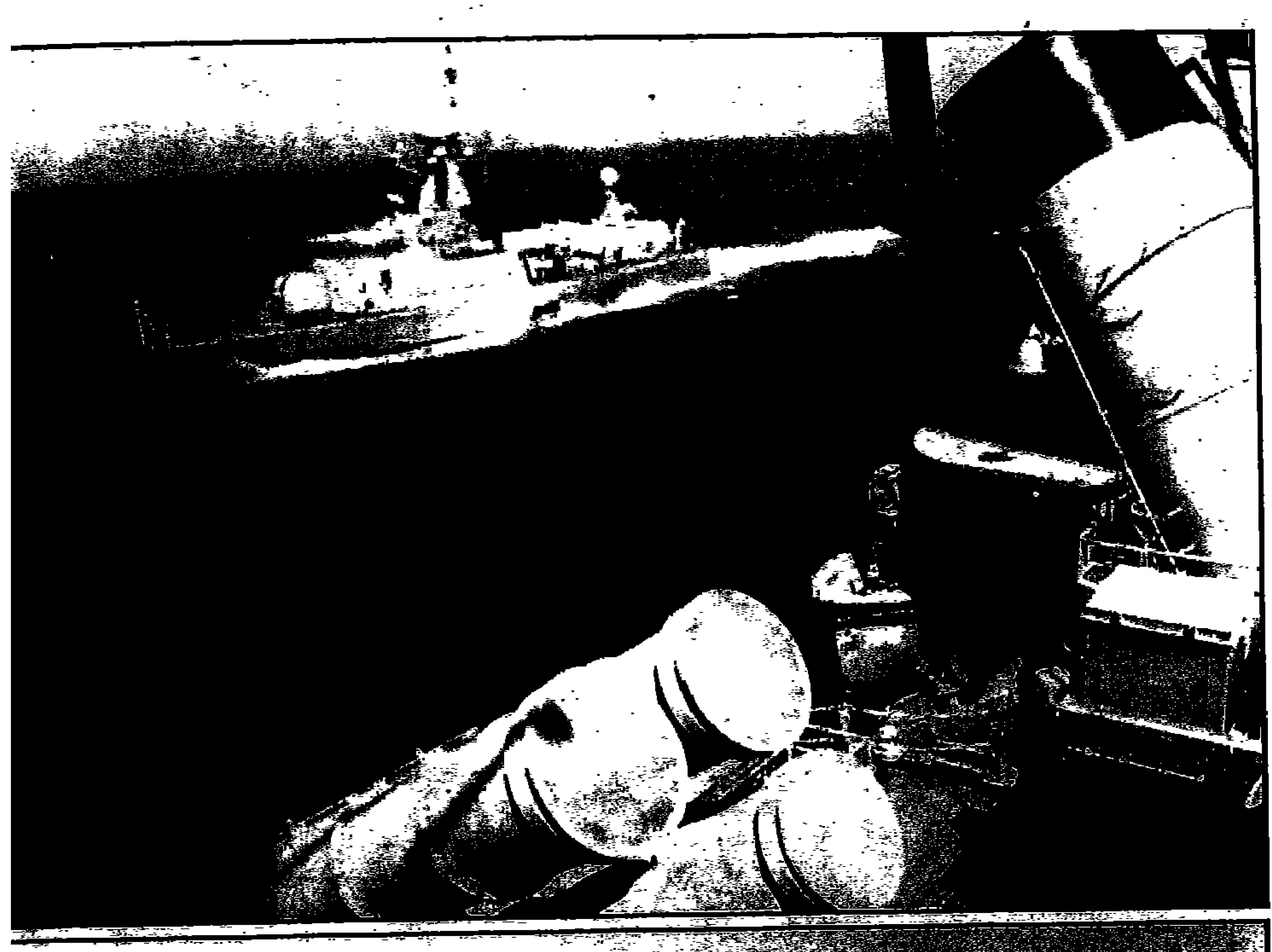
رجال الصاعقة المصريون قفزوا من طائرات الهليوكبتر للاستيلاء على موقع حيوى

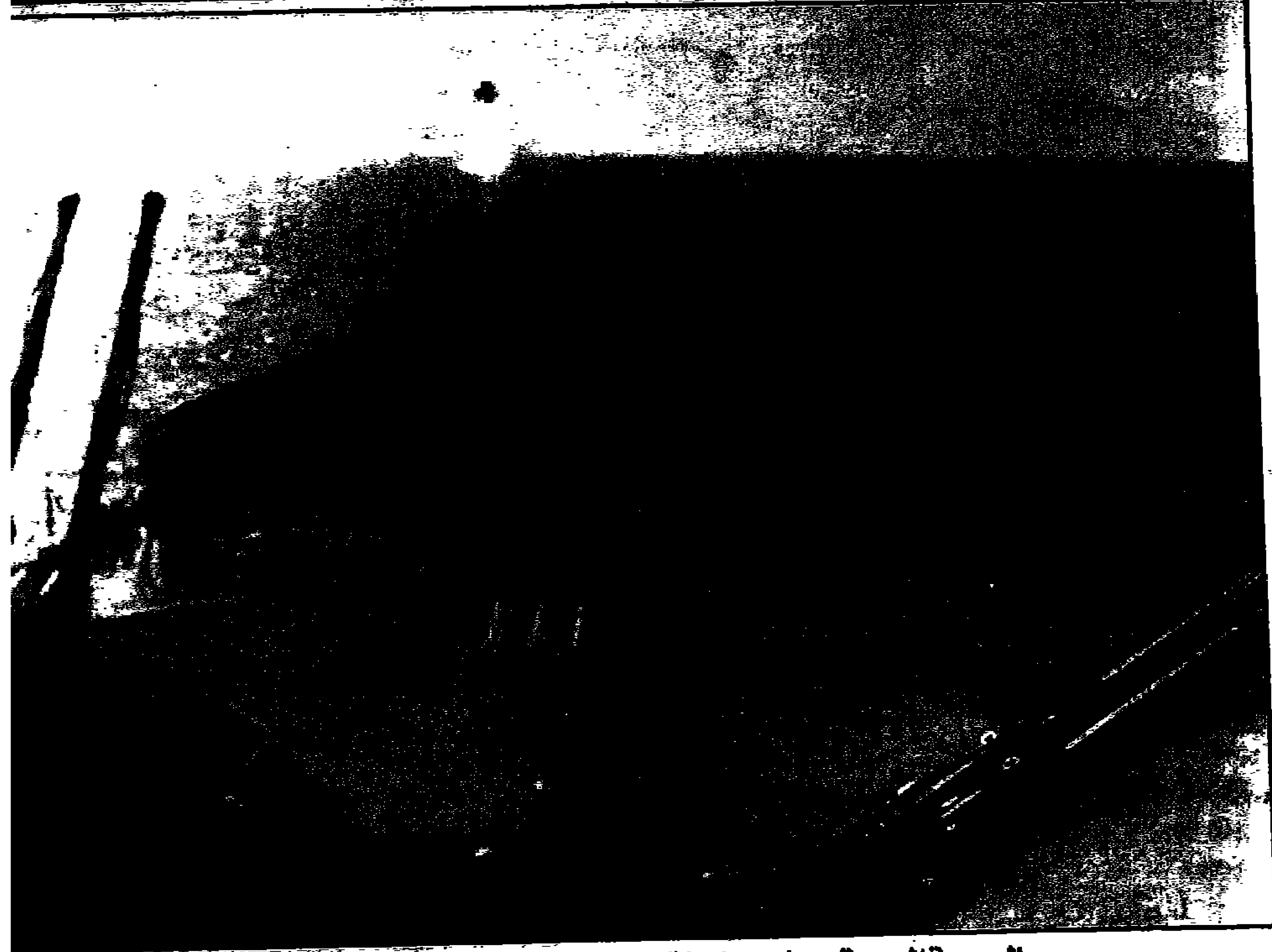


بعد ٦ ساعات من العبور تهاوت حصون خط بارليف أمام هجمات القوات المصرية العابرة



نظرة انكسار فى عينى أسير إسرائيلى أدرك كذب الادعاءات التى روج لها قادته عن الجيش الذى لا يقهر





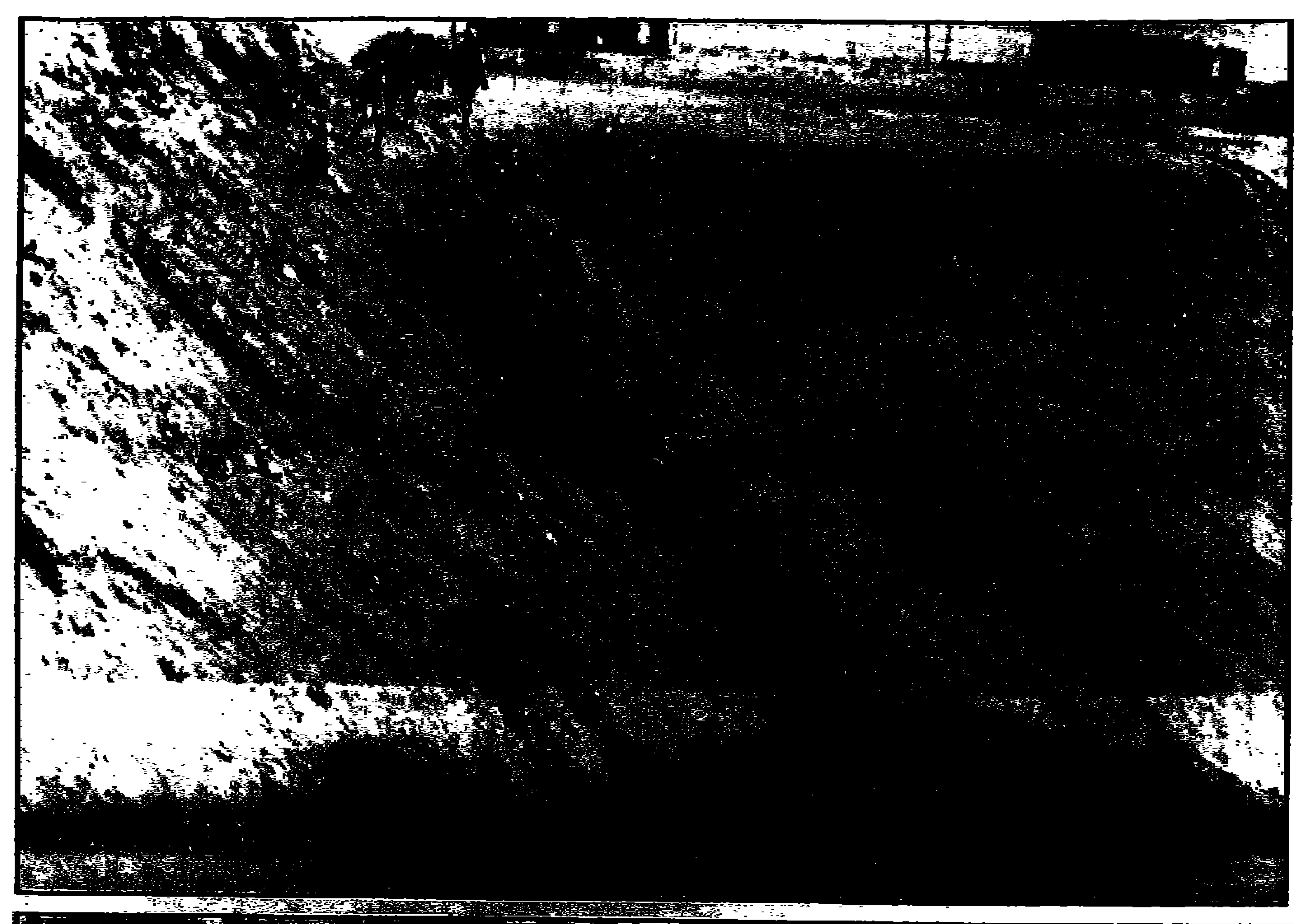
البحرية المصرية سجلت صفحات من نور فى معارك أكتوبر وأغلقت مضيق باب المندب فى أكبر عملية خداع شهدت بها المعاهد الاستراتيجية العالمية



حصن إسرائيلي سقط في أيدي القوات المصرية وفضل أفراده الاستسلام











الفهـرس

رقم الإيداع: ٩٨/١٣٠٤٧

الترقيم الدولى I.S.B.N

977-08-0776-1

طبع بمطابع دار أخبار اليوم

هذا الكتاب

◁ هذا الكتاب يضم نخبة منتقاة من حصاد ٢٥ عاما.. جمعته ذاكرة عاشت وقائع الحرب وسجلت شهادات قادة ورموز المعركة عن أيام النصر.

◁ هذا الكتاب هو قصص بطولات فى اعداد وتخطيط وتنفيذ حرب أكتوبر، سطرها الرجال بمداد من عرقهم وأعصابهم وعمرهم ودمائهم.

◁ هذا الكتاب هو رواية صادقة لأمجد أيام الوطن والأمة، يكشف تفاصيل وخبايا وأسرارا، نهديها للأجيال الجديدة من شباب مصر والأمة العربية، ليعرفوا حجم الانجاز الذى تحقق منذ ٢٥ عاما، ويدركوا مسئوليتهم فى الحفاظ عليه.

◁ هذا الكتاب هو رسالة تحية لكل قائد وضابط وصف وجندى شارك فى معركة تحرير الأرض.. وهو باقة ورد لكل شهيد روى تراب سيناء والجولان بدمائه.

الناشر

دار
قطاع الثقافة